الفصل الرابع
من أدب الشموليّة الإسلاميّة
دراسة لأقدم وثائق الشعر الإسلامي
«المرحلة المدنيّة»

أولاً: الأدب الإسلامي الموجه (من خلال الآيات والأحاديث الشريفة في المرحلة المدنيّة)

ثانياً: نماذج شعريّة بين (المنهج والتطبيق)

١- حسان بن ثابت (أمير شعراء الدعوة):

* مدخل عام لفهم شعره
* النقلة النوعية في شعره
* النموذج الشعري
* النقلة الفنيّة والمذهبيّة الأدبيّة

٢- عبدالله بن رواحة (شاعر الذين يقولون ما يفعلون)

٣- خبيب بن عدي (النموذج الفذ والصابر المحتسب)

٤- كعب بن مالك (شاعر الحرب النفسيّة)

٥- لبيد بن ربيعة العامري (شاعر الحكمة والتأمل والاعتبار)

٦- معن بن أوس (طبيب القلوب الحاقدة)

٧- شاعرة مجهولة (رائعة الحب والعفة)

٨- رائعة الحب والعفّة (البناء الفني والمذهبيّة الأدبيّة)

obeikandl.com

مرحلة : الأدب الإسلامي الموجه
(من خلال الآيات والأحاديث)

أولاً : الآيات الكريمة التي وجهت قضية الشعر في المرحلة المدنية : -

قدمنا الآيات التي تخص المرحلة المكية ، وما يمكن أنْ يستخرج منها في قضية الفقه الأدبي في الفصل الثالث ، وفي هذا الفصل نتناول الآيات التي فصلت قضية الشعر في المرحلة المدنية ، وهي الآيات التي ختم بها الله سبحانه وتعالى سورة الشعراء ، في قوله تعالى:

﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لايفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا . وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنْقلب ينقلبون** ﴾ (الآيات من ٢٢٤ – ٢٢٧ سورة الشّعراء) . وهي الآيات الوحيدة التي تناولت قضية الشعر في القرآن المدني ، وتفصلها ثروة طيبة من الأحاديث الشريفة .

وقد كان هدف آيات الشعر في القرآن المكي ، هو التفريق بين القرآن الكريم والشعر في أذهان أهل الجاهلية المخاطبين من القرآن الكريم ، حتى يتضح الأمر جلياً ، وذلك لكشف اللعبة الدعائية التي كان يلعبها كبراء القوم ضد النبي عليه السلام والقرآن الكريم ، للتضليل والتشويش على الدعوة الإسلامية وصرف الناس عنها ، فاتهموا النبي عليه الصلاة والسلام بأنه شاعر وقالوا بأن القرآن لا يختلف عن بقية شعر العرب وهكذا حسم القرآن الكريم القضية ، حين بين لهم أنَّ الشعر في أصله ينطق فيه الشاعر عن الهوى

والرغائب والأشواق الإنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوره المحدود بحدود مداركه واستعداد ذاته ، والقرآن الكريم كلام الله وهدايته إلى البشر ، وهو ليس تعبيراً عن مشاعر محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾ وبذلك كشفت الآيات الكريمة الفارق بين الشعر والقرآن الكريم في المصدر والغاية لكل منهما، ولم يكن هدف القرآن الكريم هو توجيه الفن الشعري في المرحلة المكية .

وفي المرحلة المدنية ، اختلف الأمر تماماً ، لأمور كثيرة منها ميلاد الدولة والمجتمع الإسلامي ، ففي غزوة بدر يوم انتصر المسلمون ، وعادت قريش تجر اذيال الخيبة ، وتتجرع مرارة الهزيمة ، وتبكي قتلاها، فأخذت تحرض الشعراء ضد الرسول عليه السلام والمسلمين ، وبدأت تستخدم الفن الشعري كسلاح يخدم مصالحها في حرب إعلامية ضروس ، لتنفر القبائل عن الإسلام وتهون من شأن المسلمين .

عندها بدأت عملية توجيه الشعر إسلامياً ، وتصويب مسيرة هذا الفن ، بما يتناسب والمقاييس الإسلامية ولتوظيفه في خدمة الدعوة ، لأن حكمة الله سبحانه في تنزيل القرآن ، مرتبطة بحاجة الواقع الحركي للمسلمين ، ولأجل هذا جاء القرآن منجماً ، ولأجل هذا تأخرت آيات الأحكام للمرحلة المدنية ، لتقنن حياة المجتمع الإسلامي في المدينة .

وبهذا بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام يشرف بنفسه على توجيه مسيرة هذا الفن ، ويأخذ بيد الشعراء ، أمثال حسان وغيره ، ليضبط مسيرة التحول عندهم ، من خلال التوجيه المستمر ، حتى يولد الفن الإسلامي صافياً خالصاً من التلوث وأدران الجاهلية .

ثم تنزلت سورة الشعراء ، لتضع الحكم النهائي في توجيه هذا الفن .

الفقه الأدبي المستخرج من آيات سورة الشعراء :

١- الحكم على جنس الشعراء على عمومه [**والشعراء .....**]

عندما يكون هذا الجنس مجرداً من موازين العقيدة الصحيحة بأنهم دعاة للغواية والضلال، لأنهم يعيشون على السياحة الخيالية في عالم المعاني والفنيات ، وينبثقون من أنفسم ومشاعرهم الذاتية والمصلحية ، ويتهربون من الخضوع للحق ، ولا يخرجون من المعاناة والتجربة ، ولهذا فهم لايعبرون عما تم في عالم الحقائق ، بل يزورون الحقائق حسب ما تمليه الأهواء ، والسبب عائد لفقدان موازين الحق لديهم ، ولوأن الأهواء تربت في ظل الموازين السليمة ، لأنضبطت الأهواء على الموازين واستقام الفن في التعبير والأداء ، ويظهر ذلك من قوله سبحانه وتعالى في وصفهم [**ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون**] وقوله ايضاً [**وأنهم يقولون ما لايفعلون**] .

٢- الغّاوون : هم الجمهور [**يتبعهم الغاوون.....**] الذي يتلقى من الشعراء ، وعندما يكون الجمهور محروماً من موازين العقيدة الإسلامية ، كحال الشعراء ، يكون هذا الجمهور متخبطاً بلا هداية ، لأنه يخضع لإيحاء الشعر ، فيصبح لعبة بيد هؤلاء الشعراء ، فالمفكر والعالم والحكيم يرمي بسهمه على قناعات الدماغ ، فهيهات أن يُصيب إلا بحق ، أواستعداد لدى المتلقي ، أما الشاعرفإنه يرمي بسهمه مباشرة إلى النفس فيصيبها بحق أوبغير حق ، لأنه يستعمل الإيحاء والتزيين والسخرية ، ويعرض قدراته في الإخراج فيوظف الرمز والصورة والأسلوب ، ليوقظ استعدادات السامع النفسية ، ثم ينميها في الإتجاه الذي تسير فيه القصيدة بمراميها الفنية والفكرية ، لأنه لا يستعمل النقاش ولا الجدل ، بل يبدأ من التأثير الإيحائي الخفي والمتدرج المحبب الى النفس ، وبعد ذلك تقف هذه الأمور التي تسربت الى نفس السامع ، مقام الضواغط التي تجبر النفس على الانجراف لها ولو دون وعي . وبذلك يلتقي

الطرفان (الجمهور) و (الشعراء) على التبعية للأهواء ، وأهواء الجمهور تتلاعب بها أهواء الشعراء ، والكل هائم على وجهه ، لأنه ضال عن موازيين الحقّ ، والغاوون الذين لا يملكون ميزاناً للحق ، هم المؤهلون للإستجابة والتبعية للشعراء يزيدونهم رهقاً ، لأن فقدان المنهج عنصر مشترك يوحدهم في مسيرة الضلال ، ومن هنا تأتي الضرورة المُلِحَة ، لتصحيح مسيرة هذا الفن ، حتى تستقيم مع مبادئ هذا الدين .

٣- ونلاحظ أن الهجوم لم يكن على جنس الشعر ، لأنه لو كان على جنس الشعر لأفاد معنى تحريم الشعر ، ولكنه كان على جنس الشعراء ، لأن الشعر في أصله فن كلامي محايد ، لا يوصف بالخير ولا يوصف بالشر ، ولكن الذي ينقله إلى فن يخدم الخير أو الشر ، هو جنس الشعراء ، وحيث يقوم الشعراء باخراج الشعر عن مقاصده ويوظفونه في خدمة مقاصد الشر ، أو يوجهونه في خدمة مقاصد الخير، فالشعر كالكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، والدليل على ذلك أنه استثنى الشعراء المؤمنين من الحكم العام للآيات .

٤- الشاعر المؤمن والجمهور المؤمن:

وقد تم استثناء الشعراء المؤمنين ، الذين يملكون عقيدة الحق وموازينها ، لأن الأهواء عندهم تربت على الخضوع لهذه العقيدة وأحكامها ، ولذلك نراهم يُخضعون الأداء الشعري لحدودها ، فيتخلصون من الخيال المفرط والكذب ويجعلون القول في حدود الفعل والحقيقة ، لأنهم لا يسمحون للخيال أَنْ يشتط ، أو يبالغ ، أو يشوه الحقائق ، فيصغر الكبير ، ويكبر الصغير ، ولا يزوِّرون الحياة بفنهم ؛ لأنهم يتقربون به إلى الله ، ويعلمون أن الكلمة أمانة وعبادة يحاسبون عليها ، ولذلك نراهم يُروِّضون خيالهم الفني على التزام الحقائق، ويتحرّون الصدق في الأداء والأسلوب ، لحرصهم على طاعة الله سبحانه وتعالى .

والجمهور المؤمن يملك العقيدة السليمة الواضحة ، ويعتبر الكلمة مسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى ، وذوقه الملتزم يحاسب الشاعر ويطالبه بالأداء الأفضل والأحسن في المرامي والأداء ، وقد تكلمت الآيات الكريمة عن (الشاعر المؤمن والجمهور المؤمن) كفريق واحد ؛ لاشتراكهم في العقيدة الواحدة ﴿ **إلا الذين آمنوا.....**﴾ والعمل الصالح ﴿ **وعملو الصالحات** ﴾ وطلبهم الثواب من الله ﴿ **فلهم اجر غيرممنون** ﴾ وتوظيفهم الفن في خدمة دين الله ﴿ **وانتصروا من بعد ما ظلموا** ﴾ ثم تهديد شعراء الكفر ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** ﴾ في نهاية المطاف هذا التهديد الملفوف .

obeikandl.com

ثانياً : الأحاديث الشريفة التي وجهت (قضية الشعر في المرحلة المدنية)[1]

أما الأحاديث الشريفة ، التي فصلت مقاصد سورة الشعراء وخصصتها فهي كثيرة ، والنبي ليس شاعراً ، ولا يشبه حال الشعراء ، لأن النبوة تنافي الشعر ، كما بيّنا سابقاً ، وأحاديثه عليه السلام هي تشريع لشعراء الأمة وتفصيل لمقاصد القرآن الكريم في هذا المضمار ، ويمكن تصنيفها في هذا المجال الى نوعين :

١- **النوع الاول:** وهي الاحاديث التي فصلت مقاصد آيات سورة الشعراء ، ووجهت شعراء الدعوة للنهوض بالفن الشعري خدمة لدين الله سبحانه وتعالى ، كقوله عليه الصلاة والسلام :

١- عن ابي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما قالت الشعراء بيتاً هو اصدق من قولهم ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[2] حديث صحيح .

٢- عن ابي البراء قال : قال رسول الله عليه وسلم لحسان (اهج المشركين فإن جبريل عليه السلام معك)[3] حديث صحيح .

٣- عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (جاهدوا المشركين بأنفسكم ، وأموالكم ، والسنتكم)[4] حديث صحيح .

---

(١) جميع الأحاديث منقولة عن كتاب (جزء أحاديث الشعر/ المقدسي) تحقيق احسان عبدالمنان الجبالي - المكتبة الإسلاميّة/عمان.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في الكبير.

(٤) رواه أبو داود (٢٥٠٤).

٤- عن البراء ، قال : (رأيت سول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض ابطيه وهو يقول :

والله لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا .....)[١] حديث صحيح .

٥- عن أُبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن من الشعر حكمة)[٢] حديث صحيح .

٦- عن سماك قال: قلت لجابربن سَمُرة أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم ، فكان طويل الصمت ، قليل الضحك ، وكان الصحابة يذكرون عنده الشعر ، وأشياء من امورهم ، فيضحكون ، وربما تبسم صلى الله عليه وسلم)[٣] حديث صحيح .

٧- عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اهجوا قريشاً فإنه اشد عليهم من رشق النَّبل ، فأرسل إلى ابن رواحة ، فقال اهجهم ، فهجاهم ، فلم يُرضِ ، فأرسل إلى كعب بن مالك ، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت ، فلما دخل حسان ، قال : قد آن لكم أنْ ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ، ثم دلع لسانه ، فجعل يحركه ، ثم قال : والذي بعثك بالحق ، لأفرينهم به فَرْي الأديم ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل ، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً ، حتى يُخَلِّصَ لك نسبي ، فأتاه حسان، ثم رجع ، فقال : يا رسول الله ، قد خَلَّصَ لي نسبك ، والذي بعثك بالحق ، لأسلنك منهم كما تُسل الشعرةُ من العَجين)[٤] حديث صحيح .

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد (٤١٠٤).

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب باب الشعر (٣٧٥٥).

(٣) رواه مسلم (٦٧٠).

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٠).

٨- عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام[١] حديث صحيح .

٩- عن عائشة قالت : كان رسول الله يضع لحسان منبراً في المسجد ، يقوم عليه قائماً ، يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢] حديث صحيح .

١٠- عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال في الإسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر)[٣] حديث صحيح .

١١- عن ابي صالح قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : إن أبا هريرة يقول : (لإن يمتلىء جوف احدكم قيحاً خيرٌ من ان يمتليء شعراً) فقالت عائشة رضي الله عنها : يرحم الله أبا هريرة ، حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره ، إن المشركين كانوا يهاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لأن يمتليء جوف احدكم قيحاً خيرٌ من ان يمتليء شعراً من مهاجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٤] حديث صحيح .

ونلاحظ أنّ هذه الأحاديث ، التي إخترنا منها ما لم يتكرر ، كلها تركز على اهتمام الرسول عليه السلام بالشعر وتوجيه الشعراء للأخذ بمعاني آيات سورة

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٨).
(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٨٤٦).
(٣) رواه البزار (٢٠٩٢).
(٤) رواه الطحاوي في شرح الآثار (٢٩٦/٤).

obeikandl.com

الشعراء ، وحيث أخذ الرسول على عاتقه قضية الإشراف على تدريب الشعراء ، وتوجيههم إلى معالم الطريق التي يريدها الله سبحانه من هذا الفن ، انها مرحلة توجيه الأدب للإلتزام بمبادئ الدعوة ، وأجرهم في ذلك على الله سبحانه وتعالى ، ونلاحظ أنّ التشريع للحياة وضبطها، هو من سمات المرحلة المدنية ، لأنها مرحلة تقنين حياة المجتمع الإسلامي وضبطه على شريعة القرآن الكريم بعد أن استقامت عقيدته لله في المرحلة المكيّة .

أما الحديث الأخير وغيره من الأحاديث (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ...) فقد أوضحه علماء التفسير، وتبينت مقاصده في تربية الأمة ، قال الإمام القرطبي (١٥١/١٣) من تفسيره : وهذا الحديث ، أحسن ما قيل في تأويله (أنه الذي غلب عليه الشعر وامتلأ صدره منه، دون علم سواه ، ولا شيء من الذكر ، ممن يخوض في الباطل ، ويسلك مسالك لا تحمد له كالمكثر من اللفظ ، والهذر والغيبة ، وقبيح القول ، ومن كان الغالب عليه الشعر ، لزمته هذه الأوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة الأدبيّة)[١] .

وقال أبو عبيد في (غريب الحديث) : (ولكن وجهه عندي أن يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه ، فيشغله عن القرآن ، وعن ذكر الله ، فيكون الغالب عليه من أي الشعر كان ، فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه ، فليس جوف هذا عندنا ممتلئاً شعراً)[٢] .

وقال الحافظ في الفتح (٥٥٠/١٠) : (مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر ، أن الذين خوطبوا بذلك ، كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال به ، فزجرهم عنه ، ليقبلوا على القرآن الكريم ، وعلى ذكر الله تعالى ، وعبادته ، فمن أخذ من ذلك ما أمر به ، لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك)[٣] .

---

(١) - (٢) - (٣) منقولة عن كتاب أحاديث الشعر المقدسي/تحقيق الجبالي/مرجع سابق.

ومما يؤكد هذه المعاني التي ذهب إليها العلماء هو أحاديث الرسول عليه السلام في النوع الثاني :-

٢- النوع الثاني : وهي الأحاديث التي تكلم فيها الرسول عليه السلام عن أهميّة الكلمة وخطرها، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم :-

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، كالبيت الخرب)[١] حديث صحيح .

٢- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)[٢] حديث حسن صحيح .

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، ما لم تعمل به أو، تتكلم)[٣] حديث صحيح .

٤- وقوله عليه السلام في حديث طويل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه (وهل يكب الناس في النار على وجوههم .. أو قال على مناخرهم - إلا حصائد السنتهم)[٤] حديث صحيح .

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن أخوف ما أخافه على أُمتي كل منافق عليم اللسان)[٥] رواه أحمد .

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) الأربعين النوويّة.

(٣)رواه البخاري في باب العتق.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٢/١).

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من تعلم صرف الكلام ليَسْبِيَ قلوب الرجال أو النّاس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)[١] أبو داوود.

(١) سنن أبي داود - باب الإيمان .

obeikandl.com

نماذج شعرية بين (المنهج والتطبيق)

١- حسان بن ثابت

(أمير شعراء الدعوة)

« مدخل عام لفهم شعره »

١- **مقدمة تاريخية** : حسان بن ثابت الأنصاري ، صحابي جليل ، عايش الدعوة الإسلامية بشعره ، منذ البدايات الأولى ، في دار الهجرة ، أمير الشعر الإسلامي بلا منازع ، من حيث غزارة الانتاج، وطول النفس الشعري ، والمستوى الفني وتعدد الموضوعات التي أبدع فيها والأغراض التي غطاها.

امتاز حسان رضي الله عنه بموهبة شعرية متخصصة ، ويضاف إلى ذلك أنّه صاحب تاريخ عريق وتجربة عميقة في هذا الفن؛ لأنه كان من فحول شعراء الجاهلية ، حتى اعتبره بعضهم أشعر أهل الحواضر ، وكانت له صولات وجولات في أسواق العرب ، وفي مدح ملوك الغساسنة في الشام ، وشاعريته في الجاهلية تجمع بين جزالة اللفظ والزينة العفوية التي لا يظهر الكد المتعمد فيها ، مع نفس شعري يجاري السباق الفني لأبناء عصره ويستجيب للمنافسه ، ولكنه لم يصل إلى مستوى شعراء المعلقات ، وإن لحق بهم في بعض قصائده المشهورة وخاصة في المدح والفخر والهجاء وهي الفنون التي ظهر فيها ، وتجلت فيها قدرته الفنية العالية قبل الإسلام . كان حسان المنافح عن قومه العارض لمآثرهم كعادة شعراء الجاهلية ، وهو صاحب لسان سليط في الهجاء يصل إلى حد الإقذاع .

وقد استمد حسان فنيته من الخبرات المتوارثة في الفن الشعري ، ومن البيئة المحيطة ، بحيث استطاع أنْ يُكوِّنَ له اداءً خاصاً به ، جعله الشاعر الحضري

المتميز في الجاهلية .[1]

٢- التحول العقيدي :

حدث التحول العقيدي في المجتمع العربي للأفراد والجماعات ، وكان الشعراء من ضمن الشرائح الاجتماعية والثقافية التي طرأ على فكرها وحياتها هذا التحول الانقلابي ، الذي قلب المفاهيم والعقائد القديمة ودثرها واستبدلها بالدين الجديد ، وتصوراته العقيدية والأخلاقية والتشريعية والتعبيرية . وإذا حاولنا أنْ نتعرف على الذي حدث ، حتى نفسره ، وحتى تتضح أبعاد هذا الانقلاب وتأثيره على الفن الشعري ، فاننا نرى أنّ الأساس الأول لتفسير السلوك البشري واللبنة الأولى في استقراره أو انهياره هو العقيدة ، فالسلوك البشري شجرة عظيمة جذورها النوايا وتربتها العقيدة ، بما تطرحه من تصور وتفسير للحياة ، لقد انهارت العقيدة الجاهلية في نفوس أصحابها أمام الدين الذي استولى على لباب أتباعه ، وأصبح الإنسان العربي لا يدخل الإسلام إلا وقد خلع على ابوابه معتقدات الجاهلية وأخلاقها وجميع ما يمت لها بصلة ، ويدخل عقيدة الإسلام وتصوره وقيمه ، لتصبح هي الميزان المنهجي الذي ينظر من خلاله للأُمور، وهذا يكشف قدرة الإسلام على توجيه فكر ومشاعر أتباعه وطرائقهم التعبيرية في فترة وجيزة من الزمن .

وهذا التحول حدث لكل الشعراء الذين أسلموا ، لبيد بن ربيعة ، النابغة الجعدي ، حسان بن ثابت ، كعب بن مالك ، عبد الله بن رواحة وغيرهم ... ، ولكن بمستويات متفاوتة .

الخنساء بكت أخاها صخراً طوال عمرها في الجاهلية ، وعندما مات أولادها

---

(١) انظر ترجمة حسان بن ثابت: ديوان حسان، تحقيق البرقوقي ٢٣٣، ابن هشام: ١٧٢/٢، احسان النص، الشعراء المخضرمين.

الأربعة في الفتح الإسلامي قالت (الحمد لله الذي شرفني بموتهم وأرجوا أن يجمعني الله بهم في مستقر رحمته) فما الذي حدث ؟! أتبكي أخاها ولا تبكي أولادها، إنه الانقلاب الذي أحدثه الإسلام في نفوس أتباعه .

هذا التحول من الجاهلية إلى الإسلام ، دخل إلى نفس حسان ، فأحدث التغيير الجذري في فكره وسلوكه وشعره ، انتقل فيه من الوثنية إلى التوحيد ، ومن العصبية القبلية إلى الأُخوة الإسلامية ، ومن المنافسه الأدبية التي تهيم في كل واد ، إلى الأدب الموجه الملتزم بالإسلام ، وقد أطلق مؤرخو الأدب على ظاهرة التحول هذه اسم «الخضرمة» وهي تشمل جميع الشعراء الذين هداهم الله وانحازوا للإسلام .

٣- مصطلح «الخضرمة» او المخضرم

وهو مصطلح عميق دقيق ، يحتاج إلى تجلية وإيضاح ، ولعل أول معانيها الانحياز والانتقال الذي تم في نفوس الشعراء ، وجعلهم يتركون دين الآباء والأجداد إلى دين الإسلام والتوحيد ، إنه انتقال من النهج القديم المعوج إلى النور الجديد الذي أنار العقول والقلوب ، وهو يعني الجيل الأول الذي تحمل مسؤولية رفض الجاهلية واعتناق الإسلام ، وهذا الأمر يعني التفريق بين «المخضرم » الذي تحمل مسؤولية الاشتراك في هذا الانقلاب الشامل، وبين من بقي على الجاهلية معتنقاً لها متمسكاً بها مدافعاً عنها ، لأنّه على الرغم من أنّه لحق بالإسلام من ناحية عنصر الزمن، إلا أنّه بقي جاهلياً ، لأنه رفض الإسلام كعقيدة ومنهج حياة ، وعلى هذا فهو امتداد للعصر السابق في العقل، والسلوك والتعبير ، وهناك النوع الثالث وهو الجيل الذي ولد في الإسلام من أبناء المسلمين ، ولم يعش تجربة الآباء الذين تمردوا على الجاهلية، وانما تفتحت عيونه على الإسلام الذي يواجه الجاهلية ، وقد كانت هذه النماذج الثلاث : الجاهلي والمخضرم والجيل المسلم الأول كلها تعيش داخل إطار فترة زمنية

واحدة ، وهذا هو الفهم العميق « للخضرمة » في الأدب انها انقلاب فكري حدث لمرة واحدة في تاريخ هذه الأُمة ، وظهرت آثاره العميقة على موازين الشعراء الفكرية ، والفنية ، والتعبيرية ، بعد ان خلعوا الجاهلية على اعتاب الإسلام دون أسف عليها ، وقد كان حسان بن ثابت من أوائل الشعراء المخضرمين السابقين لاعتناق الإسلام .

٤- حسان والموهبة المتخصصة :

قد يكون الإنسان متعدد المواهب ، وقد تتاح له الفرصة ، لتوظيف هذه المواهب ، ونرى ثمار هذا التوظيف عملياً ، فهذا عبد الله بن رواحة ، كان صاحب فروسية وموهبة عسكرية جعلته القائد الثالث لغزوة مؤتة ، وهو شاعر مبدع وخطيب مؤثر ، وكذلك كان غيره من الشعراء الصحابة فيهم من جمع بين القيادة والسياسة والشعر والخطابة ، والإنسان الذي تتعدد مواهبة وقدراته تتوزع طاقاته عليها ، ولكنه قد يتميز بغلبة واحدة منها عليه .

أما حسان رضي الله عنه فهو الشاعر الوحيد الذي لم يملك موهبة أُخرى تنافس عنده فن الشعر ، فهو صاحب موهبة واحدة ، وطاقة واحدة هي طاقة الشعر ، ولم يعرف عنه غيرها ، فهو لم يشتهر بالقيادة ولا بالفروسية ولا بالخطابة ، ولكن عرف عنه فقط بأنه شاعر . وصاحب الموهبة الوحيدة يمتاز دائماً بالعمق فيها والخبرة والقدرة على الإبداع المتميز الذي لا يستطيعه الانسان المتعدد العطاء ، ولذلك فهو شاعر متخصص ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، يملك الموهبة المتمرسة قبل الإسلام في هذا الفن ، مما جعله شاعر الدعوة الأول ؛ لما يمتاز به من ارتفاع المستوى الفنى وغزارة الانتاج على بقية شعراء الدعوة ، لأنه إبداع المتفرغ المتخصص الذي يعيش هموم تطوير الفن الشعري بعناية فائقة .

٥- الشعر الموجه :

إنَّ انتقال حسان من الجاهلية إلى الإسلام ، مع موهبة عريقة ذات خبرة في هذا الفن ، لها تقاليدها الفنية السابقة للإسلام ، يحتاج إلى عناية خاصة ورعاية متميزة ، تشرف على هذه الموهبة ، وتعلمها كيف توظف ، فنها في خدمة هذا الدين الجديد ، بما يتناسب مع فهم هذا الدين لوظيفة هذا الفن .

وهذا معناه أنّ حسان بحاجة إلى تربية جديدة تساعده على إعادة ترتيب هذه الخبرة وتوظيف هذه الموهبة ، ضمن المعطيات الجديدة ، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ذلك لحسان ، فأولاه اهتماماً خاصاً ، يساعده على النجاح في أداء وظيفة هذا الفن الخطرة ، فكان يوجهه ويعطيه الوقت الكافي لهذا التوجيه ، ويشرف على ذلك بنفسه ، ومن امثلة ذلك محاورة الرسول لحسان : كيف تهجوهم - يقصد قريشاً - وأنا منهم ، فقال حسان (أَسلكَ كما تُسَلُ الشعرة من العجين) وهنا يعزز الرسول صلى الله عليه وسلم حسان ويقول له (اهجهم إنَّ كلامك عليهم لأشد من نضح النبل) ، وفي توجيه آخر لحسان يقول له اذهب لأبي بكر وتعرف منه على مثالب القوم ، لأن ذلك يشكل مادة علمية تساعد حسان في فن الهجاء .

أما القرآن الكريم فقد وصف جنس الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولا ينطلقون من التجربة والمعاناة ، ويفسحون المجال للخيال إلى حد الخروج عن الحقائق الموضوعية ، وربما يصلون بذلك إلى حد الكذب ، مع استثناء خاص للشعراء المؤمنين ، فإذا علمنا أنَّ بعض الشعراء ينطلق في أصول فنه الشعري من التجربة والفعل ، فهو من الذين يقولون ما يفعلون ، وبعضهم ينطلق في أصول فنه الشعري من المعايشة وليس من الفعل ، مع أنّ الشاعرين يصدران عن عقيدة واحدة ويلتزمان بها ، انكشف لنا الفارق بينهما :

شاعر الفعل والمعاناة والتجربة فهو ميال إلى التزام محكوم بالتجربة أمثال

عبد الله بن رواحة ، وأما شاعر المعايشة والمشاركة الوجدانية الذي لا ينطلق من الفعل أمثال حسان ، قد يقع في الخطأ فيشتط في الهجاء أو يسرح مع الخيال ، أكثر من الحقيقة الموضوعية ، ولذلك فهو بحاجة إلى عناية وتدريب وتوجيه ، يمكنه من ضبط النفس والخبرة في حدود خدمة الهدف الذي يريده الإسلام من هذا الفن الخطير ، حتى يتأصل هذا الفن على أُسس إسلامية واضحة ، وقد استطاع حسان أنْ ينجح في تخطي المصاعب ، حتى استقرت ملامح شعره الإسلامي وثبتت قواعد فنه الشعري ، بما يتناسب مع وظيفة الفن في هذا الدين ، حتى استحق وبجدارة ، أنْ يسمى شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وأمير شعراء الدعوة في زمنه دون منازع ، لأنه نجح في ضبط المعايشة الوجدانية واخضاعها لمتطلبات الفن الإسلامي .

openkandl.com

حسـان بـن ثابـت
(أمير شعراء الدعوة)
«والنقلة النوعية للشعر الإسلامي»

١- المقدمة :

كان - الرسول صلى الله عليه وسلم - هو العطاء الرباني والقيادة الفذة ، التي اخرجت مواهب العرب المدفونة في الجزيرة العربية وفجرتها بعد أنْ وظفتها في بناء حضارة هذا الدين العظيم ، حيث استطاع النبي أنْ يسلط نور الإسلام على معادن الرجال، فيكشف الطاقات المخبوءة للعبقرية العربية ، ويوظف هذه المواهب والخبرات في خدمة دين الله، ومن المؤكد أنَّ هذه الطاقات كانت ستدفن وتموت . لولا هذا الدين ، وكان من بين هذه المواهب المتعددة ذات الخبرة العريقة التي صقلها الاسلام وأخذ بيدها ، أمير شعراء الدعوة ، حسان بن ثابت رضي الله عنه ، الذي عرف له الرسول - عليه السلام - عظم موهبته فوضعها في الموضع المناسب ، وقد كان حسان في الجاهلية يعيش تحت سيطرة الأهواء واللذات ويندفع مع رغباته في كل واد ، حتى إذا جاء الإسلام الذي طهر النفوس من إملاق العقائد الجاهلية ، رأينا حسان يستجيب لأمر الله بسرعة مذهلة ، أخضع فيها فكره وقلبه لمضامين الإسلام وطوع الفن الشعري لفهم الإسلام ، وظهرت آثاره العميقة على موازينه الفكرية والفنية والأُسلوبية وبصورة هي أقرب إلى الانقلاب منها إلى التدرج .

فقد نقل أغراض الشعر من الفخر بالذات والقبيلة إلى الاعتزاز العقيدي السياسي ، ومن الغضب والهجاء المرتبط بمصالح الذات ، إلى الغضب لله ولرسوله ، ومن أدب التكسب إلى أدب الانتماء العقيدي ، ومن المدح بدافع الطمع إلى مدح الهدى مقابل الثواب من الله سبحانه وتعالى .

كما استطاع بغزارة إنتاجه تغطية حاجات الدعوة ، والاستجابة للتحديات التي تواجهها والرد على أكاذيب الكفار وجلاء حقائق الإسلام .

وهكذا استطاع حسان – رضي الله عنه – أنْ ينجح في توظيف موهبته ، وتصحيح موازينها الفنية والأسلوبية ، بما يتناسب مع تحديات الواقع ووظيفة الشعر كما أرادهاالإسلام ، بعد ان تغلغلت العقيدة في كيانه وتأدب بأدبها وعايش حياة الدعوة وجهادها بصحبة النبي عليه السلام وتحت إشرافه وتوجيهه، حتى بلغ المستوى الذي يقدر فيه على القيام بالمهمة ويُؤْمَن عليه من الإسراف في الخيال ، عندها قام بالدور خير قيام ، وقد شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، حين قال (أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى) .

وكان له فهم خاص وادراك عميق في استعمال مادة الهجاء ، حيث كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب ، والمعايب والأنساب ، لأنه كان يرى أن ذلك اشد عليهم من تعييرهم بالكفر ، وهم لا يدركون قباحته ، وإن كان لا يهمل ذلك الكفر في الهجاء، وكان ايضاً يسفه عقولهم وأحلامهم ويسخر من ضلالهم ، ولهذا كان القلب النابض بمعاناة الدعوة والأحداث التي تحيط بها ، وهذه الفقرة هدفها الاستعراض السريع لشعر حسان والتعريف بقدرته وطول باعه في الشعر الاسلامي والأغراض التي ساهم فيها ؛ سدا لحاجة الدعوة، في مواجهة شعراء المشركين .

٢- الاستعراض العام

وعند استعراض شعره نجد أنَّ حسان يسخر من ضلال عقول قريش حين بعث الله لها نبي الهدى فلم تؤمن به ولهذا يقول بعد ان استقبل الرسول عليه السلام في الهجرة إلى المدينة :

١- لقد خاب قومٌ غاب عنهم نبيهم وقدس من يسري اليهم ويفتدي

٢- ترحل من قوم فضلت عقولُهم وحل على قوم بنور مجددِ

٣- نبي يرى ما لا يرى الناس حولَه ويتلو كتاب الله في كل مسجدِ

٤- وان قال في يوم مقالةَ غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغدِ

وقصته مع الحارث بن عوف المري حين قتل في جواره داع من دعاة الرسول مشهورة فقال فيه وفي عشيرته :

١-إنْ تغدروا فالغدر منكم شيمة والغدر ينبت في أصول السخبر

وأمانة المري حيث لقيته مثل الزجاجة صدعها لم يجبر

وعندها بكى الحارث من هجائه له بدموع غزار ، واستجار بالرسول عليه السلام متوسلاً أَنْ يكفه عنه، حين قال يا رسول الله كف عني حسان ، فوالله لو مزج كلامه بالبحر لمزجه ، وانظر اليه وهو يسخر من أَبي جهل ويحقر مقامه بين العرب في قوله :

١- سماه معشرُه أبا حكم والله سماه أبا جهل

٢- أبقت رياسته لمعشره غضب الإله وذلة الأصل

وقد استطاع حسان أنْ يخلص الشعر من تهويم الخيال ، الذي يصل إلى حد الإدعاء والكذب ، وأنْ يركز فيه على الصدق ووصف الحقائق دون تضخيم او مبالغة مع سهولة الخطاب ووضوحه :

١- ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الدهر أحياناً دُول

٢- إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

٣- وعلونا يوم بدر بالتُقى طاعة الله وتصديق الرسل

٤- وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل

وقد يُشيع بعضهم أن حسان كان جبانا ، وفي ظني أنه يخطيء من وقع في ذلك ، حيث كان حسان يرافق المسلمين في المعارك ويتغبر بغبارها ، ولكنه لا يستطيع القتال لأنه من اصحاب الأعذار فهو صاحب عرج ويده لا تقوى على القتال ، ولكنه فعل بالمشركين ما لم يستطع فعله أهل القتال ، ألم يقل له النبي عليه السلام قاصداً بذلك لسانه (لهذا اشد عليهم من وقع النبل) بل وكان يدعو له أنْ يؤيده الله بروح القدس ، وكان أيضاً يقسم له في الغنائم كنصيب المقاتلين لأهمية ما يقوم به .

وفي أكثر الغزوات كان حسان يعايش الجهاد بنفسه ويشارك فيه بجهده وشعره ، ويكفيه سبقاً أنه نقل الشعر من التكسب والرغاء والمصالح ، إلى مرحلة ربطه بالعقيدة وبالالتزام وبصدق القلب ، وهو الذي عاش اكثر من ستين عاماً من عمره في الجاهلية ، ولكنه جاهد نفسه فنجح في استيعاب الدين الجديد والايمان به ، والتهيؤ للتعبير عن معاناة أهله ، واجه قريشاً وفضح مثالبها وعيرها بالهزائم ، ونقل سمعة المسلمين وانتصاراتهم إلى القبائل العربية باشعاره السائرة بينهم ، فكانت أشعاره حرباً نفسيةً على المشركين ، ودعاية ناجحة للإسلام والمسلمين وسط القبائل العربية المتناثرة ، يوم أن كان العرب يعتبرون الشاعر الوسيلة الوحيدة للتعبير عن المواقف والمشاعر والأفكار ، انظر إليه وهو يكشف ضعف قريش ويفضح هزائمهم ويعممها بشعره بين قبائل العرب ، فيزري من مكانتها بينهم :

١- وخبر بالذي لا عيب فيه	بصدق غير إخبار الكذوب
٢- بما صنع المليك غداة بدر	لنا في المشركين من النصيب
٣- فوافيناهم منا بجمع	كأُسد الغاب مردان وشيب
٤- فغادرنا أبا جهل صريعاً	وعتبة قد تركنا في الجبوب
٥- يناديهم رسول الله لما	قذفناهم كباكب في القليب
٦- فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا	صدقت وكنت ذا رأي مصيب

وفي غزوة أُحد يرسم لنا صورة الصراع العقائدي بأسلوب سهل بَيِّن:

١- *طاوعوا الشيطان إذْ أخرجهم فاستبان الخزي منهم والفشل*

٢- *حين صاحوا صيحة واحدة مع أبي سفيان قالوا أُعل هبل*

٣- *فأجبناهم جميعا كلنا ربنا الرحمن أعلى وأجل*

ويوم أحاط المشركون بالمدينة في غزوة الخندق ومعهم اليهود، لم ينسَ أن يكشف الموقف ويتفاعل معه بأسلوب يكشف عناية الله بهذه الدعوة ويجمع بين البساطة والصدق وسهولة الأداء دون ابتذال أو هبوط :

١- *واشك الهموم إلى الإله وما ترى من معشر متألبين غضاب*

٢- *حتى أذا وردوا المدينة وارتجوا قتل النبي ومغنم الاسلاب*

٣- *وغدوا علينا قادرين بأيدهم رُدوا بغيهم على الأعقاب*

٤- *بهبوب معصفة تفرق جمعهم وجنود ربك سيد الأرباب*

٥- *وأقر عين محمد وصحابه وأذل كل مكذب مرتاب*

أما اليهود فيفضح ضلالهم عن التوراة وخيانتهم للرسول وتعاونهم مع قريش بقوله :

١ - *تفاقد معشر نصروا قريشا . وليس لهم ببلدتهم نصير*

٢- *هم أُتوا الكتاب فضيعوه . فهم عمى عن التوراة بور*

ولم تكن حرب السيف هي الوحيدة التي كانت تعمل ضد الصف المؤمن ، بل كانت حرب أخرى يقوم بها طابور من المنافقين ، وفي حديث الافك ، يُتهم حسان بالخوض في ذلك فيسارع للتبرؤ من هذه التهمة، ويذب عن عرض أُم المؤمنين عائشة قائلاً :

١ - حصان رزان ما تزن بريبة . وتصبح غرثى من لحوم الغوافل .

٢ - حليلة خير الناس ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل

٣ - فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليَّ أناملي

٤- وأن الذي قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرئ متماحل

هذا هو حسان رأس المخضرمين الذين تحملوا مسؤولية الايمان والتعبير عن همومه .(١)

حسان بن ثابت

(أمير شعراء الدعوة)

« النموذج الشعري »

١ - النموذج الاول :(٢)

إنَّ الذوائبَ مِنْ فهر وإخوتِهم قد بينوا سُنةً للنّاس تُتبَعُ

يَرْضَى بها كلُّ مَنْ كانت سريرَتُهُ تقوى الإله وبالأمر الذي شَرَعُوا

قومٌ إذا حاربُوا ضروا عَدوَّهُمُ أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نَفعُوا

اعطوا نبيَّ الهُدى والبِر طاعتَهُمْ فما وَنَى نَصْرُهم عنه وما نَزَعوا

إنْ قال سيروا أجدوا السير جُهْدَهُمُ أو قالَ عوجوا علينا ساعةً رَبَعُوا

مازال سَيْرُهُمُ حتى استقادَ لهمْ أهلُ الصليبِ ومن كانت لهُ البِيَعُ

خُذْ منهم ما اتى عفواً اذا غَضِبُوا ولا يكنْ همُّك الأمرَ الذي منعُوا

---

(١) جميع الأشعار أخذت من ديوان حسان طبعة دار صادر وشعراء الدعوة الإسلاميّة د. عبدالله الحامد.

(٢) «شعراء الدعوة الإسلاميّة» الحامد مرجع سابق.

فإن فــي حــربهم فاتركْ عدواتَهُــمْ شراً يُخاضُ عليه الصابُ والسَّلَعُ

أكْرمْ بقومِ رســولِ اللهِ شيعتُهُـــمْ إذا تفـرقـــت الأهـواءُ والشِّيَـعُ

أَهـدَى لهم مدحـي قلــبٌ يُؤازِرُهُ فيما يحــبُّ لسانٌ حائكٌ صنـعُ

يقـول المؤرخـون قـدم وفـد تميـم المدينة المنورة مـعلنا الإسـلام ، فـخطب خطيبهم ، ثم قام شاعرهـم الزبرقان بن بدر فأنشد قصيدة مطلعها :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منا الملوك وفينا يُقسم الربع

فأرسل النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى حسان فجاء وانشد ارتجالاً « إنّ الذوائبَ ..».

ومعنى ذلك أنّ حسان استعمل أُسلوب النقائض في الرد على شاعر تميم ، ولكنه ذكَّر بالمعاني الإسلامية وبشر بها دون استثارة لأن المقام هو مقام استقبال وترحيب بوفد أَعلن إسلامه ، والهدف هنا جلاء الإسلام أمام عيونهم ، والتذكير بهذه الفئة المؤمنة التي سارت على سنة الرشد ، وعبَّدت الطريق بصبرها وجهادها حتى أظهر الله هذا الدين وتجلى هذا النور امام عيون الناس ، وبخطاب واضح يدل على استقرار مشاعر القلب التي تشكلت تحت اشراف العقيدة ، يُظهر حسان اغتباطه وفخره بالأخوة الاسلامية التي جمعت قلوب المهاجرين والانصار (ان الذوائب من فهر واخوتهم) فهم السادة والذوائب ، وذؤابة الشيء أعلاه ، سادة مَنْ اتبع الحق ، وخضع لأمر الله فيه، وجاهد ليسهل على الناس اتباعه ، ويوضح طرقه ، ولا يسع كل قلب استقرت فيه تقوى الإله الا أن يرضى ويقبل بنهجهم والسير على طريقهم ، وكان حسان يرحب بوفد تميم ويذكرهم بأن أساس الإسلام هو الرضى والخضوع لهذا المنهج .

ونلاحظ أنّ حسان يتحكم في خياله الشعري، فيفصل من الألفاظ والصور

obeikandi.com

الفنية ، ما تطيقه المعاني والمشاعر دون مبالغة أو تهويل (قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم) (واذا حاولوا نفع احبابهم نفعوا) (ذكرهم الوحي بالعفة والبعد عن الدنس والطمع ليس من طباعهم ولا يستهويهم) (ينالون محبة صديقهم واذا حاول عدوهم الأذى جدعوا واذلوا أنف عدوهم وارغموه) هذه الفئة المؤمنة يرسم لها حسان صورة الجماعة المطيعة لأمر الله ، المنضبطة بأمر قيادة النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ومنظر هؤلاء المتحابين في الله وهم يعطون الطاعة لنبيهم ، ولا ينزعون ايديهم من بيعته ، ويرسم الطاعة في منظر متحرك سهل التصور لا إيغال فيه ولا تعقيد ، ان قال لهم الرسول عليه السلام سيروا يتلقفون امره بالتنفيذ ،وكل واحد يبذل جهده لا يوفر منه شيئا ، وان قال عودوا ، أقاموا كما أمرهم ، هذه الطاعة منبعها الحب وهذا الحب يثمر الإخلاص ، وبهذا الانضباط والأُخوة التي تطيع في الله وتتراكض لطاعة الله ورسوله ، انتصر الإسلام ورضي أهل الصليب والبيع ان ينقادوا له ، ويخضعوا لأمره ، وبهذا أصبحت هذه الفئة المؤمنه لها الهيبة ، فإذا رغبت ان تنال مودتهم فخذ منهم ما طابت به أنفسهم فبذلوه ، خذ منهم ما أتى عفوا، وإياك أنْ تفكر في الأمر الذي امتنعوا عنه ، لأنه منال صعب ، فلا تحزن نفسك في التفكير بنيله ، ومن فكر في حربهم وعداوتهم اختار لنفسه مرارة الحياة وكدرها .

٢- النموذج الثاني[١]

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُها كَدَاءُ

يُبارِينَ الأعِنَّةَ مُصْعِداتٍ عَلَى أكتافِها الأسَلُ الظِّماءُ

تَظَلُّ جيادُنا مُتمطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَ بِالخُمُرِ النِّساءُ

---

(١) «شعر الدعوة الإسلاميّة» الحامد مرجع سابق. وديوان حسان بن ثابت.

فإما تُعْرِضُوا عنا اعتمرْنَا … وكان الفتحُ وانكشفَ الغِطَاءُ
وإلا فَاصْبِروا لِجلادِ يومٍ … يُعِزُّ اللهُ فيه مَنْ يَشَاءُ
وقالَ اللهُ قد أَرسلتُ عبداً … يقولُ الحقَّ إن نَفَعَ البلاءُ
شَهِدْتُ به وقومي صَدَّقُوهُ … فقلتم لا نقومُ ولا نَشاءُ
ألا أبلغ أبا سُفْيانَ عني … مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفَاءُ
بأن سيوفنا تركتْكَ عبداً … وعبد الدارِ سادتُها الإماءُ
هَجَوْتَ محمداً فأَجبتُ عنه … وعند الله في ذاك الجزاءُ
فمن يهجو رسولَ اللهِ مِنْكُمْ … ويمدحُه ويَنْصُرُه سَوَاءُ
فان أبي وَوَالِدُهُ وعِرْضِي … لِعِرضِ مُحمدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لساني صارمٌ لا عيبَ فيهِ … وبحري لا تكدره الدِّلاءُ

قال حسان رضي الله عنه هذه القصيدة يوم اتجه النبي – عليه السلام – للعمرة والحج بعد صلح الحديبية – عمرة القضاء –

وحيث تفوح رائحة التهديد والوعيد الذي جاء بصورة الدعاء على الخيل ، عدمنا خيلنا ان لم تروها ، إن لم تُغير على المشركين وتداهمهم في عقر دارهم ، وهي تثير الغبار في هجومها ، يركبها فرسان لم نلمح منهم شيئا سوى صورة الرماح العطشى إلى دماء الأعداء ، (على اكتافها الأسل الظماء) وهذه الجياد مسرعة متلهفة تلعب بالأعنة ، وتصعد الجبل متجهه إلى كداء وهي احد مداخل مكة ، وقد افنى فرسانُها رجالَ قريش ، وعندها تضطر نساء قريش وقد فقدن رجالهن ، إلى مواجهة الخيل بالخمر حاسرات الرؤوس ، لأنهن استعملن هذه الخمر لمقاومة خيل المسلمين ؛ انها الحرب النفسية ، والدعوة إلى التسليم والاذعان ، ونشر الرعب والخوف في صفوف الأعداء ، وتخويفهم

obeikandl.com

من عاقبة ما يتهددهم اذا عاندوا المسلمين ، ما سيكون عليه حالهم وما سيؤول اليه ، فعليهم بالوفاء للمسلمين والسماح لهم بالعمرة وإلا فانتظروا الهزيمة الماحقة ، وصبروا أنفسكم على مرارتها لأن العزة بيد الله يمنحها لمن يشاء من عباده (يعز الله فيها من يشاء) وهنا تظهر المعاني الاسلامية ، وتتجلى في شعر حسان ، إن الله ارسل عبدا هو رسول الله ليختبركم فتتبعوه فأنا أشهد أنَّه رسول الله ، وقومي كذلك ، ولكنكم وقفتم في طريق دعوته ، فقلتم لا نقوم لنصرتها، ولا نريد لها ان تنتصر ، وبعدها يُعير حسان أبا سفيان شاعر قريش ، بان سيوف المسلمين حولتك إلى عبد ذليل ، حيث طمعت إماء بني عبد دار بالسيادة ؛ لما وجدوا انك اصبحت عبدا مثلهم لا تفترق عنهم بشيء .

ويرد حسان عن النبي – صلى الله عليه وسلم – الهجاء، ويطلب ثوابه في ذلك من الله ، ويقول وبأُسلوب التسوية، ان النبي عليه السلام لا يضره الهجاء ولا ينفعه مدح وهو فوق ذلك .

وبعدها ينتقل حسان إلى اعلان المحبة والولاء لرسول الله ، فيجعل من عرضه وعرض ابيه وجده حماية لعرض الرسول – صلى الله عليه وسلم – لانه يرجو ثواب الله في ذلك ، وفي النهاية يفتخر حسان بموهبته ولسانه الحاد كالسيف ، وهو الذي استطاع في فترة وجيزة أَنْ يحوله من قذاعة الهجاء الجاهلي وفحشه ، إلى لسان يدافع به عن دعوة الله ، إنه يفتخر بأن هذا اللسان لا عيب فيه ، لأنه تخلص من فحش الجاهلية ، وبموهبته العميقة كالبحر الخضم الذي لا تكدره الدلاء، ولا تقف أمامه الشعراء ، انه كالخياط الماهر الذي يتحكم في الأداء ؛ ليخدم الحاجة دون ان يشتط او يخرج عن هدف الدعوة أو أخلاقها .

حسان بن ثابت
(أمير شعراء الدعوة)
«النقلة الفنية والمذهبية الأدبية»

١- ميلاد مذهب

مال كثير من الرواة ومنهم الأصمعي ، إلى القول بأن شعر حسان بن ثابت في الجاهلية كان يمتاز بالجزالة والقوة ، فلما أسلم حسان لانَ شعره وضعف، وأَراد أنْ يتخذ من ذلك قانونا عاما مفاده (أنْ الشعر فن نكد بابه الشر فإذا دخل الخير لانَ وضعف) ونحن لا ننكر أنَّ الأصمعي من الرواة واصحاب الذوق العالي ، ولكننا لا نقره على هذه المقولة السطحية ، لأنه لم يكن من النقاد المتخصصين في تفسير الظواهر الأدبية ، وان كنت أُقره على اكتشافه لظاهرة فشل في تفسيرها ، وهي ظاهرة الفارق الكبير بين شعر حسان في الجاهلية وشعره الإسلامي ، فالأصمعي اكتشف الظاهرة الفنية لشعر حسان الإسلامي ، ولكنه أخطأ وتعسف في التفسير . يقول عبد الباسط بدر : (والأصمعي - كما هو معروف - رجل لغوي يصدر عن مقاييس (القاعدة والاحتجاج) ... ويبدو أنه وجد نفسه أمام شعر حسان الإسلامي في مأزق وهو صاحب عقيدة دينية تشده إلى الشعر الذي يرتبط بالدين ، ولكنه أيضاً لغوي وراوية ، تدرب ذوقه على طابع معين من الشعر فلم يعد يستسيغ غيره ، لذلك كان مخرجه الوحيد من مأزقه ، هو أنْ يبعد الشعر كليه عن طريق الخير)[١]

وسبب هذا الخطأ الذي وقع فيه الرواة ، أنهم حاكموا شعر حسان الإسلامي على ما ألفوه من أساليب وفنيات النموذج الشعري الجاهلي ، فوقع في وهمهم

---

(١) كتاب مقدمة لنظريّة الأدب الإسلامي ص ١٤٥/ الدكتور عبدالباسط بدر الباسط بدر دار المنارة - جدة.

أنه وقع في اللين والضعف ، ولم يتتبعوا أسباب ميلاد هذه الظاهرة الأدبية ، التي سيطرت على الشعر الإسلامي بكامله ومنه شعر حسان الإسلامي ، حيث اتجه الشعر الإسلامي إلى سهولة الخطاب وعفوية الأداء ووضوح المعاني ودقتها، مع الجمع بين الصدق الشعوري والفني دون التنازل عن اساسيات الفن الشعري .

وكان الشعر الجاهلي يجمع بين الجزالة وقوة المعاني ، ويقع في ألوان من المبالغة والغموض وتزوير المشاعر ، فظن الرواة أنَّ ما حدث في الشعر الإسلامي ، أنّهُ نوع من انواع اللين والضعف ، لأنهم حكموا من خلال ما ألفوا، ولم يتحروا رشداً في تفسير هذه الظاهرة ، لقد نسي الرواة والنقاد أنَّ الإسلام أتى على الجاهلية، فدثرها أثناء الانقلاب العقيدي الذي فعله ، فسيطر على كل الأشياء ووجهها كما يريد ضمن منهاجه وهديه ، فتمت له نقلة العرب من الجاهلية إلى الإسلام في جميع مناحي الحياة العقيدية والفكرية ، والشعورية ، والسلوكية ، والتعبيرية ، واللغوية . وكان نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ميلادا لأُمة جديدة ولحضارة جديدة غيرت معالم الصراع الحضاري على وجه الأرض ، فكيف لا يكون نزول القرآن ثورة في اللغة وانقلابا في اساليب البيان والتعبير في الشعر والنثر العربي ، وفي نقل دلالات اللغة العربية وآدابها إلى مرحلة جديدة ، وفهم جديد ، وأداء مبتكر ؟ ! لقد غاب عن عقولهم أنّ اللين في شعر حسان ، هو ميلاد لمذهب جديد في الفن الشعري ، هو مذهب (**الشمولية الاسلامية**) .

نعم ما لانَ شعر حسان ولا ضعف ، ولكنها ولادة المذهب الأدبي الإسلامي الذي لم يألفه الرواة في الشعر الجاهلي ، وفي ظني أنَّ حسان الشاعر الجاهلي الفحل الخبير بالشعر يعرف ماالذي فعله بشعره ، إنه انتقال الخبير الذي استعد للمهمة الجديدة والأدب الجديد ، الذي يمثل فهم هذا الدين لغاية هذا

الفن ووظيفته ، وبهذا التقى حسان مع بقية الشعراء الصحابة المخضرمين -الذين تحملوا مسؤولية المواجهة مع الجاهلية - على نفس الطريق، مع افتراقه عنهم ، في الخبرة والتخصص وطول النفس الشعري وغزارة الانتاج ، وتميز عنهم حسان أيضاً بتحمل المسؤولية الكبيرة في طرح النموذج الشعري الذي يمثل الأدب الموجه لهذه الشمولية، بعد أَنْ نجح في استيعاب أمر هذا الدين في اخضاع الفكر ، والمشاعر، والخبرة ، والموهبة ، لهموم الدعوة والتعبير عن معاناتها ، من خلال التربية التي تلقاها والعناية نالها على يد الرسول القائد صلى الله عليه وسلم .

٢- التحكم في الأداء الفني (الخيال المنضبط)

الخيال أو التصور هو الجهاز الرباني ، الذي نتمكن به من استرجاع الخبرات ، التي استقرت في الذاكرة ، وكل مبدع من البشر لابد له من تخيل الخبرات التي تساعده على تصور وتخيل العمل الفني ، ليجعل من ذلك وسيلة لاخراج هذا الإبداع أو تحقيقه ، فالخياط والمهندس والشاعر ... يتخيلون العمل الفني قبل ميلاده أو اخراجه بصورته الواقعية النهائية التي تصل الينا، المهندس يتصور أو يتخيل شكل العمارة في ذهنه قبل أنْ يرسمها على الورق ، والخياط يتخيل شكل الثوب قبل البدء في قصه وتفصيله ، والشاعر يعمل ذهنه ويتخيل وسائل اخراج التجربة الشعورية مرات ومرات ويختزنها حتى تأتي لحظة ميلاد القصيدة .

والواجب أنْ يُحصرَ التصور والتخيل في حدود الحاجة أو الغاية ، وان يدرب على دقة الأداء حتى لايخرج عن المواصفات ، لأنه إذا زاد عن الحد المطلوب أَو أنقص منه ، أدى إلى ميلاد مشوه للعمل الإبداعي . افترض أن خياطا اخذ قياسا لطفل معين ، ولكنه لم يلتزم بالمواصفات ولم يتخيل بدقة حاجة جسمه ، فزاد في المقاس أو انقص منه . فإنه بالتالي يفشل في تحقيق

الغرض ، وكذلك المهندس أو الشاعر إذا افسح المجال لخياله أن يخرج عن حدود الحاجة ، فانه يفشل في المهمة الإبداعية . لقد كان شعراء الجاهلية يفصلون من الأثواب الأُسلوبية والفنية والبلاغية ما يزيد على حاجة الصدق والحقيقة ، ويصل الأمر أحيانا بالشاعر ، أمام غياب ضوابط العقيدة السليمة ، وربط التعبير بالمصالح والاهواء إلى حد المبالغة والتضخيم والكذب ، فينقلب الهجاء مسخا ، والمدح كذبا ، وهذا هو الوصف الذي وصف به القرآن الكريم شعراء الجاهلية ،﴿ **ألم ترى أنَّهم في كل واد يهيمون** ﴾ وبذلك أصبحت الحقيقة ضائعة ، والشعر فن منبعه المقاصد والمشاعر والنوايا التي تستقر في القلوب ، والجاهلي ربط الشعر بالرغبات والأهواء ، وهنا ضاعت الحقيقة بين السنتهم فضلوا وأضلوا ، وأصبح الشعر خطرا يهدد حياة الناس وسمعتهم ، ولهذا نفَر القرآن الكريم الناس من الشعراء الكافرين وطلب منهم عدم تلقي الحقائق من أفواه الشعراء ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ لأنهم يهيمون وراء المصالح ، واستثنى الذين امنوا من جنسهم ؛ لانهم اخضعوا فكرهم وقلوبهم وبيانهم لكلمة الخير ولعقيدة الإسلام ، وكان حسان رضي الله عنه فارس شعراء الإسلام ، الذي خلص الشعر من جموح الخيال وأوجد الخيال المنضبط بأوامر الشرع الحنيف ، وبقدر الحاجة التي تفرضها الدفقة الشعورية ، وحارب الخيال المريض الذي يقع في التهويل والمبالغة ويخرج بالشاعر عن الدقة ، ومال إلى الصور الهادئة التي لا يشتط فيها الخيال، وتحرى الصدق الشعوري والفني في الأداء والمعنى ، وبذلك تخلص من أدران شعره الجاهلي فجاء شعره الإسلامي سلساً عذباً واضحاً لا غموض فيه ولا انحراف عن الوظيفة ، ودون أن يؤدي ذلك إلى التنازل عن أساسيات الفن الشعرى (ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الدهر أيام دول) أو الهبوط بمستواه الفني (لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء) .

وهكذا كان حسان كالخياط الماهر الذي يفصل من الأساليب والفنيات والبلاغيات ما يكفي الغرض ويناسب المقام ، ويستجيب لمطالب الإسلام وتربيته في ايجاد الفن الشعري الذي يخدم اغراض هذا الدين وأهدافه، وبهذا نجح حسان في تدريب الخيال على الانضباط ، وتعويده على الدقة وإلزامه بحاجات العقيدة ، وتخليصه من فوضى الانفلات والشطط ، إلى بر الأمان ودقة الأداء .

٣- المذهبية الادبية

استطاع حسان أَنْ ينقل الشعر الإسلامي إلى مرحلة واضحة المعاني ، بينة الخطوات ، وبعد النظر إلى شرائح من شعره الإسلامي ، يستطيع الناقد أَنْ يرى النقلة الفنية التي أوصل الشعر الإسلامي إليها . وهذه بعض الملامح الفنية والمذهبية لشعره :

١- مال حسان إلى الأداء الأُسلوبي ووظفه في مساحات كبيرة من شعره مثل اسلوب الدعاء والمقارنه والسخرية والتنفير والاستنكار والتهديد والتسوية . وبذلك استطاع أن يخفف من جموح الخيال ويساعد على التحكم فيه ومن نماذج ذلك (عدمنا خيلنا ان لم تروها) . (سماه معشر أَبا حكم والله سماه ابا جهل) ، (تفاقد معشر) (أتهجوه ولست له بكفء) (فمن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء) .

٢ - استعمل حسان الصورة الفنية من تشبيه واستعارة وكناية ومشهد متكامل بحدود الحاجة ، وبعفوية البيان العربي السائد عند جيل تأثر بالقرآن الكريم وفصاحته ودون إفراط أو تفريط ، ومن امثلة ذلك :

(تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء) ، (لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء) ، (فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت

سوطي إلى أناملي) ، (مبارك كضياء البدر صورته) .

٣ – استعمل حسان المباشرة في الدخول إلى المواضيع التي عالجها ، ومال في بعض الاحيان إلى المقطوعة ؛ لأنها تؤدي إلى الغرض الوظيفي والفني ، وتخلص من المقدمة الطللية التي تعتبر من ميادين الاستعراض الفني ، ولم تظهر القصائد الطويلة عنده إلا في مواقع محددة ، مثل رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الهجاء السياسي والهجوم على المشركين ، فقد مال إلى المقطوعات المتوسطة (وخبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير إخبار الكذوب) (طاوعوا الشيطان اذا أخرجهم فاستبان الخزي منهم والفشل) .

٤ – اتجه حسان الى بساطة التعبير وسهولة الأداء الفني وابتعد عن المبالغة وحوشي الكلام ونقل مشاعره وأفكاره بدقة واتقان (ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الدهر أيام دول) .

٥ – استمد حسان معانيه من القرآن الكريم وتأثر بأساليبه وبلاغته ، وكان شعره صدى ابداعياً للتربية القرآنية والتعليمات النبوية وشمولية الانتماء المنهجي والتعبيري دون ابتذال أو غموض ، (وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل) .

٦ – نقل حسان الشعر من التكسب والخضوع للأهواء إلى الالتزام بالعقيدة الجديدة ، ومن الذاتية إلى هموم الجماعة ومعاناتها مع الجاهلية ، فظهرت المشاعر الذاتية كمنافح عن الجماعة تذوب وتتحد معها ، بعد أن طوع الأساليب والخيال والخبرات لخدمتها ، ونجح في ايجاد الشعر الاسلامي بخبرة الرائد الذي يدرك وظيفة الشعر في الاسلام ويتحاشى الوقوع في مطبات الموروث والمألوف . وهو الذي عاش أكثر من ستين سنة في الجاهلية ، وبهذا تمكن من مجاهدة نفسه عقيدياً وفنياً حتى خلصها من الموروث الجاهلي في المعتقد والأساليب ، والاستجابة لمعطيات الدين الجديد ، واخضاع قلبه ومشاعره وفنه في خدمته ، بحثاً عن ثواب الله لعباده المخلصين .

عبد الله بن رواحة[1]
(شاعر الذين يقولون ما يفعلون)

١ – المقدمة : عبد الله بن رواحة صحابي جليل وفارس متميز ، وشاعر له أداء خاص لا يختلط مع الآخرين ، ولا يتشابه معهم ، إلا في الخطوط العريضة التي يلتقي فيها شعراء الدعوة الإسلامية ، وهذا الشيء الذي نريد أن نؤكده ، حيث أن جميع شعراء « الشمولية الإسلامية » لهم خطوط عريضة مشتركة يلتقون حولها ، ومع ذلك فكل واحد منهم له تميز فردي في الموهبة والأداء.

ونحن لا ننكر هذه القاعدة ،بل نؤكد أنها أمر طبيعي في شعراء المذهب الأدبي الواحد ، ولكننا نوضح قصدنا في تَميُّز عبد الله بن رواحة في أمور منها: سرعة تفاعله الفني والشعري مع الدين الجديد، مع فروسية ذات مذاق خاص ، تتفاعل مع فعل الجهاد تفاعل العاشق مع معشوقته ، ويحن إلى الجنة بروح يدفعها التحدي والعنف وتمني الألم والطعن والقتال ، تفوح من شعره رائحة العنف الصادق المتلهف إلى لقاء ربه :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

حتى يقولوا اذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا

إنني أزعم أن فن الشعر هو الفن الوحيد ، الذي يكشف الصدق من الزيف ؛ لأن ميزة فن الشعر على باقي الفنون الأدبية الأخرى ، أنه يكشف مكنون القلب ، وخبايا المقاصد والنوايا ، ولا يستطيع الشاعر إلا أنْ يكشف رصيده الشعوري العاطفي ، وبناء على تحليل هذا الرصيد ، يمكننا، أن نتبين المشاعر الطبيعية من المشاعر المفتعلة .

---

(١) ترجمة عبدالله بن رواحة. النبلاء ١٧١/١ الاصابة ٢٨٧/٢ شعر الدعوة الإسلاميّة: الحامد مرجع سابق.

ألم يكشف النقاد سوء نوايا الشاعر المتنبي ، في مدائحه لكافور الإخشيدي من خلال الفلتات الشعورية التي ظهرت على سطح شعره ؟

وهذه ميزة فن الشعر – كما قلنا – على بقية الفنون النثرية ، التي قد تتدخل فيها رقابة الفكر فلا تسمح لمكنون المشاعر أنْ يظهر ، إلا في حدود ما يراه الفكر من حكمة الخطاب والمحاورة للآخرين ، أما الشعر فلا مجال فيه لذلك ، لأنه دفقة تفريغ شعوري كامل ، ينصب مرة واحدة من خلال حالة التوتر التي يعايشها الشاعر ، لحظات ميلاد القصيدة . وإذا حصل أن تدخل الفكر لمراقبة هذا التدفق ، فلابد أن يتسرب إلى البناء الشعري ما يشير إلى (عقلنة) هذه المشاعر وعندها تنكشف عورة (العواطف المصطنعة) من (العواطف الصادقة): إن الشعر تاريخ حقيقي للمشاعر والسلوك عند الأمم ، لأنه تسجيل للمواقف القلبية ، التي تحكم على مواقف فكرية واوضاع واقعية قيمتها هذه المواقف القلبية يوم عايشتها ، فقد يعبث العابثون بحقائق التاريخ ومعلوماته بسهولة ، ولكن ليس باستطاعتهم أن يعبثوا بالتراث الشعري لتلك الفترة بسهولة ؛ لأنه يصعب أن يدخل على الفن الشعري ما ليس من نسيج صاحبه ، ولو حصل ذلك الإدخال ، فإنه يكون كالرقعة السوداء في الثوب الأبيض ، وحتى لو كانت الرقعة بيضاء في ثوب أبيض ، فإنها لا تخفى على الناقد البصير المتمرس .

ليس هذا خروجاً عن الموضوع ، بل مقدمة ومدخلاً للتعرف على شعر عبدالله بن رواحة من خلال مقطوعتين من شعره تمثلان النموذج الإسلامي .

٢- النموذج الاول(١)

---

(١) شعر الدعوة الإسلاميّة الحامد مرجع سابق.

١- يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

٢- فأنْزِلَنْ سكينةً علينا وثبت الأقدامَ إنْ لاقينا

٣- إنَّ الكفار قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة أبينا

إنّه اعتراف بمنة الإيمان ، وطاعة الشكر عليها ، إلى الله سبحانه وتعالى ، ودعاء يكشف صدق النوايا وصحة اتجاهها إلى المعطي الوهاب ، وبطلب الثبات عند لقاء الأعداء ، والثبات نعمة كبرى يمنحها الله للصادقين ؛ لأن الصدق جهد العبد والثبات هو عطاء الرب ، للمجاهدين السابقين. ودوافع الجهاد موجودة في بغي الظالمين على المؤمنين « إنّ الكفار بغوا علينا » ورفض المؤمنين لهذا الظلم « وان أرادوا فتنة ابينا » . إنّ الظالمين لا يكتفون بأنهم على الضلال والكفر ، ويتركون عباد الله على حريتهم التي منحهم الله إياها (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) بل يريدون إجبار غيرهم على السير معهم في منهاج ضلالهم . ومن هنا جاء حق المؤمن في الجهاد ، ليدافع عن حقه في الاعتقاد، وحريته في حماية شريعة الحق طاعة لأمر الله في ذلك .

لقد حزن عبد الله بن رواحة لنزول الآية الكريمة ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ وقال وهل أنا إلا منهم ، ولكن الفرح عاد إلى قلبه حين نزل استثناء بالشعراء المؤمنين ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا** ﴾ .

إنّ الله الذي خلق النفس وفطرها ، أعرف بحاجات فطرتها الضرورية ، والشعر ضرورة من ضرورات الفطرة ، في التعبير والبيان عن أشواقها ، ومن هنا جاء استثناء الشعراء المؤمنين في الآية الكريمة ، لأن الشعر نوع من أنواع البيان الذي مَنَّ الله به على الانسان ﴿ **علمه البيان** ﴾ شريطة أَنْ يُخضع هذا البيان لشروط الإسلام وتوجيهه ، كما قال عليه السلام (الشعر كالكلام طيبه

طيب وقبيحه قبيح) فماذا ترى في كلام عبد الله بن رواحة ، لقد جاءت مقطوعته لتؤكد تفاعل مشاعره وقلبه وخضوع هواه لأمر الله ، إنّه يتمثل المعاني القرآنية ويعايشها بصدق لا مواربة فيه ، لأن هذه المعاني خالطت قلبه ، فكانت القصيدة عبارة عن مقطوعة تحمل مجموعة من الدفقات الشعرية من جهاز عصبي ، لإنسان تربى على كتاب الله ، وباسلوب يتحول فيه كيانه ، الى ربه ، بخطاب موجز ، فيه سمو التعبير ، وبراعة الايجاز لأنَّ الاسلام يتغلغل في كيانه ، لكنه يصوغ الإسلام شعراً ممتزجاً بإنسانيته، وعندها يكون البيان على لسانه حكمة ، وهذا يبين صدق القول الذي يقول أنَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانوا مصاحف تدب على الارض »

٣- النموذج الثاني :(١)

١- *هل أنتِ إلا إصبعٌ دميتِ* *وفي سبيل اللهِ ما لقيتِ*

٢- *يا نفس إلا تقتلي تموتي* *هذا حِمام الموت قد صليتِ*

٣- *إن تسلمي اليوم فلن تفوتي* *أو تبتلي فطالما عوفيتِ*

٤- *وما تمنيت فقد أُعطيت* *إنْ تفعلي فِعْلَهُما هديتِ*

وإن تأخرت فقد شقيت

٥ - *اقسمت يا نفسي لَتنزِلنَّهْ* *طائعةً ، أو : لتكْرَهنَّهْ*

٦-*إنْ أجْلَبَ الناسُ وَشَدُّوا الرَّنَّةْ* *مالي أراك تكرهين الجَنَّةْ*

٧- *قد طال ما كنت مُطْمئِنةْ* *هل أنتِ إلا نُطفة في شَنَّهْ*

جعفر ما أَطْيَبَ ريح الجَنَّةْ

وهذه المقطوعة قالها شاعرنا ، في يوم مؤتة ، يوم استشهد بين الصَّفَيْن،

---

(١) شعر الدعوة الإسلاميّة الحامد مرجع سابق.

يدفع عن دين الله بنفسه ، حتى ارتفعت روحه إلى خالقها ، تحمله الملائكة على سرير من ذهب يقول المؤرخون : إنَّه دخل المعركة وقد جرحت إصبعه في بدايتها « هل أنت إلا إصبع دميت » إنَّه خطاب شعراء الأفعال ، الذين يقولون ما يفعلون ، ومن خلال المعاناة وفي أوقات الشدة تظهر المعادن الأصيلة للرجال، وتختبر العقيدة في قلب صاحبها ، وتأتي جوارحه تتصدى لأعداء الله ، في مرحلة لا ينفصل فيها قول الشعر عن فعل البطولة ، والنفس لا تقنع بالاقتراب من الموت ، ولا تطمئن لذلك ، إلا اذا كان الموت إغراء ، وهنا يأتي دوره في اقناع هذه النفس « يا نفس إلا تقتلي تموتي » وطالما كنت تتمنين الشهادة ، وها قد جاء المنى لك بالحظ وسنَحت الفرصة (وما تمنيت فقد أُعطيت) فإن فعلت فعل جعفر وزيد فقد هُديت، وربحت البيع مع الله ، ويعالج الشاعر خاطر التردد ، الذي مر سريعاً في نفسه ومخاطباً لها (مالي اراك تكرهين الجنة) و (اقسمت يا نفسي لتنزلنه) ، هذا هو الانتصار ، يبدأ من داخل النفس ثم يمتد إلى ساحة الواقع ، حيث استطاع الشاعر أن يلوي عنق الخوف ويجبرها على دخول الجولة ، طوعاً أو كرهاً ، مستعملاً أسلوب القسم ، والتذكير لنفسه بأنها عاشت ردحا من الزمن مطمئنة بالحياة ، وأن تترك حياة زائلة إلى حياة باقية ، وتتواجد في ذهنية الشاعر صورة لخروج الروح من الجسد ، يحاول أن يقنع نفسه بها ويسهل عليها الإقدام ، إنها صورة خروج قطرات الماء من قربة مثقوبة (ما أنت إلا نطفة في شنه). نعم لم يكن عبد الله جباناً ولا خوارا ، وما كانت لحظات التردد التي مرت به إلا لحظات فطرية ، تمر على كل نفس تعايش اختبار الموت ، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ **كُتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾ البقرة : ٢١٦ ومن هذا الشعر ينبع الصدق الشعوري متألقاً مع الصدق الفني في مركب واحد اسمه الشعر الاسلامي .

٤ – البناء الفني والمذهبية الادبية

١ – المحافظة على المستوى الأدائي الفني والبلاغي دون اللجوء إلى الغموض والتقعير ، مع سهولة الخطاب ووضوحه والترابط بين الفعل والقول ، من خلال المعاناة التي لا مجال فيها للتهويل والتخيل الكاذب .

٢ – تناول الجزء في التجربة الشعورية من خلال علاقته ووشائجه مع الكل، حيث جاء الجهاد ، كجزء من العقيدة ، مترابطاً معها دون انفصال في الفهم والتعبير .

٣ – عرض المشاعر والمقاصد والنوايا دون ادعاء ، أو انكار للفطرة، أو تزييف لها، مع حذر من الوقوع في فاحش القول أو حوشي الكلام ، الذي قد يسميه البعض واقعية .

٤ – لم يكن الشعر الإسلامي منشوراً حزبياً يتملق الزعامة ، وانما تفاعلاً بين القلوب المؤمنة التي يدفعها الصدق والحب، في بيان يجمع بين الفنية التي يفرضها الموقف ، ليعكس ثمار القلوب التي تفاعلت مع القرآن في ساحات الأعمال والأفعال والأقوال .

كعب بن مالك
(شاعر الحرب النفسية)
« رائعة التهديد والاغراء بالخضوع »

١- قضينا من تهامة كل وِتْرٍ ... وخيبرَ، ثم أجمعنا السُيوفا
٢- نخيرها ولو نطقت لقالت ... قَواطِعُهن دوساً أو ثقيفاً
٣- فلستُ لحاصنٍ ان لم تروها ... بساحةِ داركم منا أُلوفاً
٤- وأنا قد أتيناهم بزحفٍ ... نحيط بسورِ حُصْنِهم صفُوفَا
٥- رَئيِسهُم النبي وكان صُلْباً ... نَقِيّ القلبِ مُصطبرا عَزوفَا
٦- رشيدُ الأمر، ذو حُكْمٍ وعلمٍ ... وحِلْمٍ لم يكن نَزِقا خفيفَا
٧- نطيع نَبِيَّنَا ونُطيع رباً ... هو الرحمن كان بنا رَؤوفَا
٨- فإن تُلقوا الينا السِّلْم نَقْبَلْ ... ونجعلكم لنا عضُدا ضعيفا
٩- وإن تَأْبَوْا نجاهِدكم ونَصْبِر ... ولا يَكُ أمْرُنا رَعشاً ضعيفاً
١٠- نُجالدُ ما بقينا أو تُنيبُوا ... إلى الإسلام إذعانا مضيفا
١١- وكم من مَعْشَرٍ أَلَبُوا علينا ... صَمِيم (الجِذْم) منهم وَالحليفَا
١٢- أَتونا، لا يَرونَ لهم كِفاءً ... فَجَدَّعْنا المسامِعَ والأُنوفَ
١٣- بِكُلِ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقيلٍ ... نَسُوقُهم بها سَوْقا عنيفا
١٤- لأمر اللهِ والإسلام حتى ... يقومَ الدينُ معتدلاً حنيفا
١٥- فننتزع العروش ببطن وَجٍّ ... ونترك داركم منا خُلوفا
١٦- ونُردي اللاّت والعزى وَوُدًّا ... وَنَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنُوفَا
١٧- فأمسَوْا قد أَقَرُّوا واطْمأَنُّوا ... ومن لا يَمْتَنعِ .. يَقْبل (خُسُوفاً)(١)

---

(١) انظر ديوان كعب بن مالك دار صادر وشعر الدعوة / عبدالله الحامد.

obeikandl.com

١- المقدمة (تعريف بالشاعر)

كعب بن مالك بن أُبي بن كعب السلمي الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل أسلم باكراً ، وعاش حياته مدافعا عن الدعوة الإسلامية بلسانه وبسيفه ، حضر جميع الغزوات مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يتخلف إلا عن غزوتي بدر وتبوك ، وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، فقاطعهم المسلمون أكثر من خمسين يوما ، بأمر من الرسول – صلى الله عليه وسلم –حتى انزل الله سبحانه وتعالى توبته عليهم ، وأثناء هذه المقاطعة وصلت رسالة لكعب من ملك غسان يحرضه على اللحوق به ، ولكن كعباً رمى بها في التنور ، وصمد كعب ، أمام هذا الامتحان الشديد ، بعد أَنْ صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – في القول حتى مَنَّ الله عليه بالتوبة والغُفران ، ومات كعب سنة خمسين هـ عن سبع وسبعين سنة بعد ان كف بصره في أواخر ايامه[١] .

يمتاز شعر كعب بتمثيل المعاني القرآنية، والفاظه مألوفة واسلوبه سهل واضح ، وهو بذلك يقترب من عبد الله بن رواحة في الأسلوب والأداء ، ويختلف عنه بطول النفس الشعري وكثرة الانتاج ، وهو من رواد المخضرمين ، الذين تحملوا مسؤولية مواجهة الجاهلية بالسيف واللسان ، حيث وظف سيفه وشعره في الدفاع عن الدعوة ، إلى أن أظهرها الله وامتدت إلى الجزيرة العربية بكاملها.

٢- تحليل القصيدة

لما انهزم المشركون يوم حنين ، ترقبت قبائل العرب في الحجاز الأمر ، وعاشت في حالة من القلق والذعر ، أمام انتصارات الرسول صلى الله عليه

---

(١) شعر الدعوة الإسلاميّة: الحامد، ديوان كعب بن مالك دار صادر، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي / شوقي ضيف.

وسلم وأمام الهيبة النامية للإسلام في جزيرة العرب ، وكانت هذه القصيدة اللسان الرسمي في الإشاعة بغزو الطائف أو دوس ... حتى أنَّ دوساً خافت لما سمعت هذه القصيدة ، فجاءت عجلى بوفدها، لتبايع الرسول صلى الله عليه وسلم وتعلن إسلامها دون مقاومة .

كان الشاعر عند العرب هو الوسيلة الإعلامية الأولى والخطرة ، التي تعبر عن المواقف والمشاعر وتنقل مجريات الصراع الدائر ، وتوصله الى القلوب بطريقة مؤثرة ، في توجيه الرأي العام ، ويتوقف نجاح الشاعر على قدرته في توظيف موهبته ، وحسن اسلوبه في الدخول إلى النفوس ، وقد كان كعب بن مالك رضي الله عنه نعم الشاعر الفارس، الذي يدرك خطر الكلمة وأثرها في مخاطبة القلوب ، وقد استطاع وسط الترقب والقلق، الذي يُساور القبائل أمام الإسلام الممتد النامي ، أن يشن حربا نفسية تنمي عنصر الخوف والهلع في نفس الخصوم ، وكان موفقا منذ بداية القصيدة (قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم اجمعنا السيوفا) إنّه كلام الواثق ، الذي يحاصر الأعداء في نفوسهم ، حتى تضيق ذرعا ، فتندفع نحو الخضوع دون مقاومة . فسيوف المسلمين انتهت من السيطرة على الحجاز (خيبر والمدينة ومكة)ثم عادت إلى اغمادها لتستريح قليلاً ، ولو أنّ هذه السيوف عاقلة وخيرت في رغبتها ، إلى من ستتجه المرة القادمة لاختارت وقالت نريد قبيلة دوس أو ثقيف . وزعيم هذا الجمع المنتصر هو النبي – صلى الله عليه وسلم – (رئيسهم النبي وكان صلبا نقي القلب مصطبرا عزوفا) وهو صاحب الكلمة المطاعة ، الصابر نقي القلب مصطبراً عزوفا وهو صاحب الكلمة المطاعة ، الصابر على الشدائد ، العزوف عن الدنيا ، صاحب الحلم والعلم ، وليس بطائش ولا ضعيف الرأي ، لأنه يتلقى الأمر من ربه ، إن تخضعوا للسلم فقد سلمتم ، وأصبحتم منا ، وإلا فإننا أهل المجالدة والقتال والصبر ابتعثنا الله رحمة للمسالمين ، وحرباً على

المعاندين والكافرين ، نجدع أنوفهم ونذلهم ونكسر شوكتهم ، وكم من معاند حاول ففشل ، وقد نجح كعب في اشعار المخاطب أنه محاصر، ولا مفر له ولا فائدة من العناد فوصل إلى اهدافه، يوم ان استثمر انتصارات المسلمين ووظفها في الحرب النفسية ، فكشف ضعف الأعداء وعدم قدرتهم على معاداة الدعوة ، والازدراء لمن يعاديها ، وفي هذا محاصرة لبقايا العناد والمكابرة في النفوس ، وإضعاف لصبر الأعداء على المجالدة ، وإغلاق لأبواب الأمل في وجوههم ، وتوسيع لسيطرة الرعب ، والضعف ، ودعوة للإذعان ، وتشكيك لهم في النهج والعقائد التي ساروا عليها ، وقد انكشف الحق وتجلى بنوره واضحاً امام العيون ، وظهر الباطل وخذلانه ، فاللات والعزى وود مهدده بالهدم والتكسير وسوف تسلب قلائدها وزينتها ، إنه خلع لبقايا الوثنية وتوهين وتهوين لها في النفوس ، حتى يسهل على هذه النفوس الانقياد والتسليم ، وإذا وصل هذا التهديد إلى قلوب السادة والقادة ، الذين يتولون أمر المشركين ويحرضون على الإسلام ، فعندها ينتقل الانهيار النفسي بسهولة ويسر إلى الجماهير المضللة التابعة لهم ، وليس هذا الأسلوب غريباً على صحابي جليل تربى على القرآن، وأخذ منه دروساً في الحرب النفسية وفقه معنى قوله تعالى ﴿ **فإماتثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم** ﴾ الأنفال : ٥٧

٣- البناء الفنى والمذهبية الادبية

١- يلتقي كعب ابن مالك مع حسان وعبد الله ابن رواحة وغيرهم من شعراء الشمولية الإسلامية في الابتعاد عن المبالغة والخيال الهائم ، وربط القول بحدود التجربة والتعبير والترابط بين الصدق الشعوري والفني .

٢- تختلط المشاعر الذاتية بالجماعة وتندمج بها إلى حد الذوبان ، حيث جاء الخطاب والتوجيه والتهديد كله بصيغة الجمع ، وهذا يدل على قدرة هذا الدين في ربط مشاعر أتباعه وتوظيفهابنجاح في أهدافه .

٣- تمتد الشمولية كخيط القلادة الذي يربط الاعتقاد والمشاعر والفعل والأداء الفني باتساق تام لا شذوذ فيه عن الأهداف التي أرادها الإسلام من هذا الفن .

٤- يعتبر كعب بن مالك الشاعر الثاني بعد حسان من ناحية طول النفس الشعري ، وغزارة الإنتاج ، وفنية الأداء بين شعراء المدينة ، حيث استطاع التكيف مع معطيات المرحلة والعقيدة وتطويع فنه وموهبته لخدمة الإسلام .

٥- استعمل كعب مجموعة من الأساليب والبلاغيات والفنيات بمستويات متفاوتة وضمن الحاجة والغرض الوظيفي للأداء الفني ، مما ساعده على التحكم في الخيال وتطويعه لأهداف الصدق الشعوري والفني ، دون النزول بالمستوى الشعري عن بلاغة عصره.

oberkandl.com

خُبيب بن عدي
(النموذج الفذ والصابر المحتسب)
« رائعة الثبات »

١ – لقد جَمَّع الأحزابُ حَوْلـــي وألبوا ... قبائلَهم ، واستجمعوا كلَ مَجْمَعِ

٢ – وكُلُّهُمُ مُبْدِي العـــداوةِ جاهـــدٌ ... عَلَيَّ لأنِّي في وثاقي بِمَضْيَـــعِ

٣ – وقـد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهـــم ... وقُرِّبتُ مـن جِذْعٍ طويل مُمَنَّـــعِ

٤ – إلى الله أشكو غربتي ثم كُرْبتـــي ... وما أرصد الأحزابُ لي عند مَصْرَعي

٥ – فذا العرش صبِّرني على ما يُراد بي ... فقد قبضوا لحمي وقد ياس مَطْمَعي

٦ – وذلك فـي ذات الإله وإن يَشـــأ ... يبارك علـى أوصـال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

٧ – وقـد خيروني الكفرَ والموتُ دونَـــهُ ... وقد هَمَلَتْ عيناىَ من غير مَجْزَعِ

٨ – وما بي حِذَارُ الموت إني لَمَـــيِّتٌ ... ولكن حِذاري جحـمَ نـارٍ مُلفَّـعِ

٩ – ولستُ أُبالي حـين أُقتلُ مُسْلِمـــاً ... على أيِّ جنب كـان في الله مَصْرَعي

١٠ – وَلَستُ بمبدٍ للعدو تَخَشُّعـــــاً ... ولا جَزِعاً ، إني إلى الله مَرْجِعِي (١)

١ – المقدمة (قصة هذه القصيدة) :

يقول علماء السيرة إن رهطاً من قبيلتي عضل والقارة ، قدموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد غزوة أحد ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث الرسول ستة نفر من الصحابة ، وأَمّرَ عليهم مرثد الغنوي ،

---

(١) شعر الدعوة الإسلاميّة: الحامد مرجع سابق.

حتى إذا كانوا على ماء الرجيع ، بناحية الحجاز وهو ماء لقبيلة هذيل ، استصرخوا عليهم هذيلاً فأحاطت بهم، فدافعوا عن أنفسهم ، حتى استشهد منهم أربعة ، وأُسر اثنان ، هما : خبيب بن عدي صاحب هذه الأبيات ، وزيد بن الدثنة – رضي الله عنهما – فأخذتهما هذيل وباعتهم لقريش ، بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

وكان حجير التميمي قد اشترى خبيباً رضي الله عنه ، ليقتله بالحارث بن عامر ، الذي قتله خُبيب في غزوة بدر .

وهكذا أُخرج خبيب الى التنعيم ، واجتمع جمع غفير من الرجال والنساء والأطفال ، ليشهدوا مصرع وصلب خبيب – رضي الله عنه – ، وفي هذه اللحظات طلب منهم خبيب أن يصلي ركعتين ، فسمحوا له ، فصلى ركعتين فأحسنهما واتمهما ، وقال لهم : أما والله ، لولا أن تظنوا أني أطلت جزعاً من الموت ، لأستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب أول من سن هذه الركعتين عند القتل للمسلمين ، وقد أصبحت هذه الصلاة سنة ، باقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لها، وعندها دفعوه إلى خشبة الصلب على جذع نخلة وأوثقوه ، فقال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة إلى رسولك فبلغ الغداة ما يفعل بنا ، ثم قال : اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحدا ، حتى أن دعوة خبيب أدخلت الرعب إلى قلوبهم ، قال معاوية رضي الله عنه : (حضرت مقتل خبيب مع ابي سفيان ، ولقد رأيته يلقيني على الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكان الاعتقاد عندهم : أن الرجل إذا دُعي عليه فاضجع لجنبه زالت عنه). [1]

٢- تحليل القصيدة :

وبعدها أنشد خبيب هذه القصيدة اليتيمة ، قصيدة الثبات ، في لحظة من

---

(١) صفة الصفوة: ابن الجوزي وابن هشام ٢/١٧٠.

لحظات الشدة ، التي تتقلب فيها القلوب والأبصار ، ولكن الله يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت ، لأنّه رحيم بهم ، وقد اطلع على قلوبهم فرآها وقد عمرها التوحيد ، وسكنتها الثقة بوعده ، وملأها الشوق إلى جنته، إنها لحظات الرحمة التي يفيض بها الله سبحانه وتعالى على عباده بالتوفيق ، ويحميهم من الخذلان ، لم يختلف أهل الكفر في يوم من الأيام على عداوتهم للإسلام وللمسلمين ، ولم يكن غريباً أنْ تلتقي مصلحة قريش وهذيل وعضل على مقتل خبيب الشهيد . « لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا » وكل واحد منهم يبدي العداوة والشماتة والحقد على الإسلام ، الممثل في شخصية خبيب ، وفي لحظة من لحظات الشعور بالكثرة والمنعة ، إنّه إنتفاخ أهل الباطل ، على فرد أعزل من أهل الحق ، لاستعراض عضلات قوتهم الجوفاء ، ولم يكن خبيب ممن يعز بقلة أو كثرة ، بل كان صاحب عقيدة واضحة المعالم راسخة الفهم ، لأنه كان يرى أهل الباطل من خلال منظاره العقيدي الصلب ، كانوا صغاراً في عينه كالدنيا ، ولا أدل على ذلك من تجمعهم في حشد هائل على رجل مشدود الوثاق ، إنها مهزلة أهل الباطل الذين جحدوا بآيات الله المثبوتة امام اعينهم في الكون المنظور ، وانكروا آيات الله في الكتاب المسطور ، وانكروا حق الله في العبادة والطاعة ، وتطاولوا على عباد الله يمنعونهم الولاء لله والرسول، وحتى اذا اشتد الأمر واقترب التنفيذ ، يتوجه الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، أنْ يثبته على الحق ، وأنْ يكرمه بالشهادة ويُلهمه الصبر، على ألَم تلك اللحظات (إلى الله اشكو غربتي ثم كربتي) وبنداء المحتسب الذي تفوح منه رائحة الصدق يوم تختبر العقائد في قلوب أصحابها (فذا العرش صبرني ..) انه وقت الشدة ، الذي تؤدى فيه الامتحانات الصعبة وتطلب الجنة ثمنها الباهظ من شرايين الشهداء ﴿ **احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ العنكبوت : ٢ ويحاول أهل الكفر المساومة وطلب التنازل ، ولكن العروضات

الرخيصة لا تغريه (وقد خيروني الكفر والموت دونه) ، إنّها بطولة مدهشة ، تظهر فيها رباطة الجأش ، وتتفاعل فيها المشاعر والمقاصد مع العقيدة أيما تفاعل ، لقد استقر هذا الدين في قلب خبيب وفي قلوب ذلك الجيل من الصحابة ؛ فقوموا الدنيا من خلال منهاجه ، فبدت هزيلة صغيرة ، ولهذا اثمر هذا الدين في حياة الصحابة ، لأنهم أخذوه بقوة المُعْتَقِدْ الذي لا يخامره الشك ، وصدق الواثق المطمئن الى صحته ، وهذا هو الفارق بين جيل أحب الدنيا واصابه الوهن في أيامنا ، وبين الجيل الذي رأى الدنيا من خلال القرآن فتطابقت مشاعره وافعاله مع تصور القرآن للحياة ، فجاء شعره وتعبيره امتدادا للأفعال ، وليس ترفا يهيم في كل واد من وديان الخيال والأقوال (وما بي حذار الموت اني لميت)لم تدمع عيناه الدموع خوفا من الموت ، ولافراراً من الشهادة ، لقد هملت عيناه الدموع خوفا من نار جهنم ، وليس طمعا في نجاة يخون بها الله ورسوله ، بالكفر الذي عرضوه عليه مقابل ذلك (ولكن حذار حجم نار ملفع) .

والصبر هنا مرتبط بالغاية السامية التي يتجه بها المؤمن في جميع أفعاله ، وهي التقرب والطاعة والعبادة إلى الله سبحانه وتعالى (وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على اوصال شلو ممزع) ، نعم المؤمن ينسى متاعبه وتهون جميع الآلام والمصاعب ، عندما يتذكر وعد الله ، ولا يضيره ، ان يتمزق هذا الجسد ما دام انه يبارك و يكرم من الله ، و همه الأول والأخير أنْ يخرج من الدنيا وقد عفاه الله من الكفر، وحماه من الوقوع في الشر ، أما كيف يموت ؟! وعلى اي حال ، وبأي وسيلة ، فهذا الأمر لا يعنيه ولا يهتم به ، ولا يكترث له ما دام أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى ، هذا هو الصحابي الجليل والشاعر الإسلامي ، والصابر المحتسب ، والنموذج الفذ ، الذي يعلم الأجيال كيف يموت المسلم كالأشجار الواقفة دون أن ينحني إلا في السجود للواحد الاحد ، الذي له الأمر من قبل ومن بعد . (ولست ابالي حين اقتل مسلما على اي جنب كان في الله مصرعي) .

٣- قيمة هذه القصيدة :

١- تعتبر هذه القصيدة من النماذج المتميزه للشعر الإسلامي ، من حيث أنها انفردت بنقل تجربة غير متكررة ، وطرحت موقفاً بطولياً يعكس صدق الترابط بين الفعل والتعبير عنه ، مما جعلها تعلق بقلوب المسلمين على مر العصور .

٢- ومما يعطي هذه القصيدة قيمة خاصة ، أنّها نموذج على شعر التضحية والثبات ، الذي تحتاجه أمتنا في تربية اجيالها ، عندما يضعف عنصر التضحية وينتشر الوهن والضعف في صفوفها .

٣- وتعتبر هذه القصيدة شاهد صدق على شعراء هذه الدعوة ، الذين نقلوا الشعر من التكسب والإرتزاق والبيع الرخيص ، إلى شعر الصدق والمعاناة والتعبير عن الموقف، في فترة مبكرة ، وقبل أن تطرح الأمم الحديثة في قرننا الشعر والادب الملتزم الذي يحمل هموم الانسان .

٤- البناء الفني والمذهبية الادبية :

يستطيع الناقد المنصف أنْ يلمح في هذه القصيدة ملامح البناء الفني للقصيدة الإسلامية الشمولية والشخصية الأدبية المستقلة من خلال ما يلي :

١- مضامين القصيدة تطرح الإسلام فكراً وسلوكاً وتعبيراً ، ولهذا نجد ان القصيدة خرجت من ثوب الصدق والمعاناة ، ولم تخرج من ثوب الترف الفني والحشد العابث له ، والعقيدة الإسلامية هي الملهمة للشاعر في كل حركة من حركات مشاعره .

٢- يمتاز الأداء هنا بسهولة الطرح وبساطة التعبير ، والابتعاد عن الغموض ، والاهتمام بفنية نقل الفكر والمشاعر وليس فنية التهويم و الترف ؛ لأن المقبل على الشهادة يهمه نقل الموقف ، ولا تُهِمُّهُ حذلقة الفنيات ، وقد نجح الشاعر في نقل ما يريد ، والدليل على ذلك الخلود الادبي الذي فرضته هذه القصيدة لنفسها عبر العصور .

لبيد بن ربيعة العامري
(شاعر الحكمة والتأمل والإعتبار)

« رائعة حقيقية الحياة »

١- بلينا وما تبلى النجومُ الطوالعُ	وتبقى الجبالُ بعدَنا والمَصَانِعُ
٢- فلا جَزَعٌ إن فَرَّقَ الدهرُ بينَنا	وكلُ فتىً يوماً به الدهر فاجِعُ
٣- وما البِّر إلا مُضْمَرات من التُقى	وما المالُ إلا عارياتٌ ودائعُ
٤- وما الناسُ إلا كالديار أهلِها	بها يوم حَلوها ، وغُدوا بَلاقعُ
٥- وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِه	يحورُ رماداً بعد إذْ هُوَ ساطعُ
٦- وما المالُ والأهلون إلا ودائعٌ	ولا بدَ يوماً أنْ تُردَ الودائعُ
٧- وما الناسُ إلاّ عاملان: فعاملٌ	يُتبر ما يبني وآخرُ رافعُ
٨- فمنهم سعيد آخذ بنصيبه	ومنهم شقيٌّ بالمعيشةِ قانعُ
٩- لعمرُكَ ما تدري الطوارقُ بالحصى	ولا زاجرتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ(١)

١- المقدمة :

لبيد بن ربيعة العامري ، أحد فحول الشعر الجاهلي وصاحب المعلقة المشهورة ، ذات الصيت الذائع ، بين عرب الجاهلية ، والتي دافع فيها عن مجد قومه ، وفاخر به ، ولم يُعرف عنه في شعره إلا الفخر بقومه ، ترفع عن التكسب بالشعر وامتاز بصعوبة الأساليب و البحث عن الغريب ، ولا غرابة في ذلك وهو ابن البادية الذي ألف حياتها واخذ منها وتأثر بها . ومع ذلك خالط التأمل شعره الجاهلي حين كانت تطل عليه بعض لحظات الصفاء ، ولكنه تأمل مرتبط بالعقلية الجاهلية واغراضها وهمومها ، كما ورد ، في معلقته (عفت الديار محلها فمقامها) :

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) / شوقي ضيف وديوان لبيد تحقيق: احسان عبّاس الكويت ١٩٦٢، ابن سلام ص ١١٣.

فاقنع بما قسم المليك فإنما قسم الخلائق بيننا علامها(١)

وما ان انبثق فجر الدين الجديد ، وانتشر نوره بين القبائل العربية ، حتى بعث البراء العامري ابن اخيه لبيد برسالة إلى – الرسول صلى الله عليه وسلم – فوقع الايمان في قلبه إلا أنه لم يعلن اسلامه حينئذ، وعاد إلى قبيلته ، حتى اذا استدار العام ، خرج مع وفد منها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأعلنوا دخولهم في دين الله .. ورجع لبيد إلى قومه يذكر لهم البعث والجنة والنار، ويقرأ لهم القرآن وما زال بينهم حتى خط عمر الكوفة ، فنزلها وأقام بها إلى أنْ توفاه الله سبحانه وتعالى في صدر خلافة معاوية سنة اربعين للهجرة)(٢)

وكان سبب وقوع الإيمان في قلبه ؛ سلامة فطرته ، وكياسة عقله ، وسعة أُفقه المبكر . وبذلك انفك عقله من قيود الجاهلية ، وأخذ حريته في التأمل والتفكير ، يساعده في ذلك منهج الدين الجديد الذي يعتبر التفكير والتأمل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله .

٢- التأمل والتفكير عند عرب الجاهلية :

التأمل طبيعة فكرية في الكائن البشري ، لأنه مخلوق عاقل ، يدرك المصلحة ، ويحمل هموما فوق الإشباع العضوي ، وقد تتعدد جوانب التأمل والتفكير في أمور الحياة المتشعبة ، ولكن المسألة الملحة التي تقلق الضمير البشري هي حقيقة الموت ، وهي الحقيقة التي تقف حائلا بين الجنس البشري وطموحه في البقاء ، ورغبته الملحة في الخلود ، وفي ظني أنَّ ذلك عائد إلى المنظار الذي يحمله الانسان، وإلى العقيدة التي ينتهجها في تفسير الظواهر ومنها ظاهرة

---

(١) المعلقات العشر معلقة لبيد بن ربيعة.

(٢) العصر الإسلامي / شوقي ضيف.

الموت ، فالإنسان الجاهلي ، ومن خلال تصوره للحياة ، كان يدرك أنَّ الله هو الخالق ، ولكنه ضل الطريق ، فأنكر البعث والحساب ، وظن أنَّ الموت نهاية المطاف ، وعنده ينتهي كل شيء ، وتصور كهذا ، يزرع في قلب صاحبه الهلع والحزن، ويدفعه إلى الشعور بعبثية الحياة وتفاهتها ، وهو يرى الأحبة يذوبون في دنيا الفناء ، وتتقطع أوصالهم في التراب ، فلا أمل ولا لقاء ، ولا بد لكل واحد أنْ يتجرع مرارة الموت . إنَّ عقيدة أهل الجاهلية مرعبة ، تضاعف الأحزان ، وتعمق الهلع والجزع ، والسبب في ذلك أنّ الفطرة البشرية انحرفت عن ربها ، ووقعت تحت عقائد الجاهلية المنحرفة فرأت في الموت فناء ، يفسد عليها رغبتها في الخلود ، وينزع منها الأمن ، ونلمح ذلك من خلال قول عدي بن زيد (وما غبطة حي إلى الممات يسير)[1] ، واذا نظرنا الى شاعر آخر نجده يتمنى المستحيل ، ويود لو أنَّ الإنسان كالحجر الصلد ، لا تؤثر عليه الأحداث ولا تبليه الأيام ، ولا يرعبه الموت :

ما اطيبَ العيش لو ان الفتى حجرٌ تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[2]

وهكذا عاش الجاهلي التأمل مرارة ، يتجرع به حسرة الضياع ، ويعيش متأكلاً بين التوتر والرعب، ويشعر أنّ الحياة موحشة ، لا تستحق منه إلا أحد أمرين : إما الهروب منها أو الإقبال عليها ، اقبال المستغل المستفيد المتلذذ بها ، قبل أنْ تبلعه الأرض في احشائها ، وليكن بعد ذلك ما يكون ، وهذا طرفة بن العبد يعرض لنا هذه الفلسفة بوضوح تام .

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى لعمرك لم احفل متى قام عودي[3]

وهذه الخنساء تمضي في البكاء على أخيها صخر ، لا يقر لها قرار ،

---

(١) مختارات من الشعر الجاهلي / أحمد راتب النفاخ/ دمشق.

(٢) تميم بن مقبل.

(٣) طرفة بن العبد.

ولا يرتاح لها بال ، ولم تنهزم صورة الموت المرعبة من نفسها ، إلا عندما اطلت عليها العقيدة الإسلامية ، التي قلبت لها موازين الجاهلية ، ووضحت الحقائق جلية في تصورها .

٣- تحليل القصيدة

حتى اذا جاء الانقلاب الإسلامي على الجاهلية من جذورها ، فقوض بنيانها ، ونظف النفوس من صدأ عقائدها المنحرفة وانطلقت النفوس من اصرها وقيودها، عندها تغيرت الحياة ورآها الناس من خلال مجهر الإسلام بمنظار موضوعي جديد ، وتأمل جديد ، إنّها نظرة المؤمن ، الذي يتأمل جوانب التغير التي تثير الدهشة ، وترقق القلوب ، وقد رأى في الموت واعظاً يضبطها من الخلل ، وينبه الناس إلى حقيقة الحياة الزائلة ،.التي يلفها الفناء ، ولكن بعيداً عن العبثية ، ومن خلال تصور جاد ، ينقل الإنسان الى التأمل والاعتبار الذي يعلمه كيف يقرأ سطور الكائنات ، ويتفرس حكمة الله في خلقه ، وعندها يصبح الموت مرحلة من مراحل تنقل الكائن في رحلته الطويلة في هذا الكون الواسع ، وهكذا كان لبيد بن ربيعة ، وبعين الشيخ الكبير الوقور ، الذي عجم الحياة من خلال التجربة وهو القائل:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع *وتبقى الجبال بعدنا والمصانع*

فلا جزع إنْ فرق الدهر بيننا *وكل فتى يوما به الدهر فاجع*

إنه يرى أنّ جميع الأشياء أطول عمراً من الجنس البشري ، فالنجوم لا يرى أنها بليت والجبال تمر عليها الأجيال، وتتعاقب وتندثر في أعماق الأرض ، والجبال التي استقبلت الأجداد والآباء تستقبل الأبناء والأحفاد ، وكذلك الأبنية والمصانع ، فالانسان هو العنصر الضعيف المندثر، والذي يجعل لبيداً مدهوشاً أمام الحقيقة التي تهز وجدانه من الاعماق ، هو عنصر القهر وحقيقة

الموت ، وأنّ الجَماد اكثر حظاً في الخلود من الانسان ، انها مشاعر الذهول التي تتوارى وراء الالفاظ ، ومع ذلك يتماسك لبيد امام هذه الحقيقة ويعترف بها ، ويُقربها إقرار المؤمن ، الذي لا ينكر ولا يتهرب إنه اندهاش المؤمن وانبهاره أمام الحقائق ، حتى يألفها ، ثم يستعد للتعامل معها ، ولذلك فلا داعي للحزن والجزع ، ما دام أنَّ الكأس سوف يشربه الجميع ويتجرعونه دون حيلة منهم او تخيير لهم في ذلك، وهنا قد يتعدد السلوك البشري وتتجاذبه المخاوف ويحكمه الإرتباك ، فمن متجه الى الهرب من الحقيقة ، يدفن رأسه خوفاً منها ، كفعل ذكر النعام (الظليم) حين يدفن رأسه هربا من الصياد ، يريد أن يعب من ملذاتها ، قبل فوات الأوان ومن يائس سيطر عليه الحزن فاصبح شبح الموت يمنعه طيب المنام ، ومن مؤمن عرف الحق فمال إليه ، وهذا هو الذي تعلمه لبيد من إسلامه ، وهو يُواجه حقيقة الموت بالاعتراف والاقتراب منها ، وهنا يصبح الموت واعظا ، يحرك القلوب للإستعداد والتزود إلى يوم الرحيل ، والركض إلى الله بالعمل الصالح (وما البر الا مضمرات من التقى وما المال إلا عاريات ودائع) فالمال وديعة ترد إلى صاحب الأمر ، والسعيد من عاد، وقد عمَّرت التقوى قلبه ومقاصده ونواياه ، لأن الانسان لا يحمل شيئاً من الارض يوم موته ، فالأرض معارة للجنس البشري ، ويغادرها بعد ان تمتحن وتختبر نواياه ومقاصده فيها ، فان أخضع هواه لأمر الله وقصدَهُ في الأعمال ، فقد سلمت النوايا وسلم القلب، وعندها يكون الموت سعادة وراحة لها ، بعد عودة المؤمن من سفره الطويل الى ربه ، إنها عودة الغانم السعيد بلقاء الله ، وبهذا استطاعت العقيدة الاسلامية أن تجلو عن النفس صدأ الرعب ، الذي ران على القلوب، يوم انحرفت إلى العقائد الجاهلية ، ويعود بها إلى بر الأمان ، وهنا يصبح التفكير في الحياة ، وسيلة من وسائل ضبط العمل وتحسين السلوك ، ويصبح الموت واعظاً ، والتفكير عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى .

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

وما الناس إلا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وما المال والاهلون الا ودائع ولا بد يوماً أن تُرد الودائع

وهنا نرى الشاعرية المرهفة ، والتأمل الدقيق ، يتعمق في النظر ، فيرى حياة الفرد كأنه شهاب تألق، ولكنه لا يلبث ان ينطفيء ويذبل ثم يذوب فيها ، انه تألق الفناء والانتهاء، وعندها تخلوا الديار ، ويكون الناس كالظل الزائل يمرون عليها خالية ، فيعمرونها ، ثم تعود خالية منهم كما كانت خالية من قبلهم ، والمال والأهل والأولاد والسيادة ، كلها ترد إلى صاحب الأمر ، وبهذا يصبح التأمل ادراكاً للحقائق، وخضوعاً لها وتفاعلاً معها ، وهنا نلاحظ كيف دخلت العقيدة الإسلامية إلى القلوب والعقول ، فأورقت ثماراً من التأمل لا جزع فيها ولا هلع ، ولكن فيها اعتبار وطمأنينة وتوجه إلى الله :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

فالانسان يعيش وسط الغيب والمجهول ، ولا يمكن ادعاء العلم ومعرفة الغيب ، من فئات تقامر وتدعي العلم (الطوارق بالحصى وزاجرات الطير) فما عليه إلا ان يترك ادعاء معرفة الغيب ، ويترك الغيب لله سبحانه وتعالى ، فهو الذي عنده مفاتح الغيب ، وعلى الجنس البشري أن يترك ادعاء معرفة الغيب وافاعيل الكهان ويحترم عقله ، ويعيش ضمن العالم المحسوس ، ويدرك الدنيا بحواسه ، ويستشرف عظمة الخالق من خلال التفكير في ابداعه في مخلوقاته ، وهذا هو طريق العلم الذي دلنا عليه القرآن الكريم ﴿ **يتفكرون في خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا** ﴾ آل عمران :١٩١

٤- البناء الفني والمذهبية الادبية

١- عدد لبيد في الأساليب بما يخدم الغرض، ويوصل المشاعر والأفكار ،

بلغة حية ذات حلاوة ورونق جمعت بين اسلوب الحصر ، والتشبيه ، والتقريب، وهذا يدل على قدرة لبيد في الانتقال من وعورة الألفاظ وحوشي الكلام إلى سهولة الأداء وجمال الالفاظ .

٢- استطاع القرآن الكريم أنْ يفعل فعله في قلب لبيد وتعبيره وجملته الشعرية فقد ترك فنيات الجاهلية وغموضها الذي كان يسيطر على معلقته ، واتجه إلى وضوح الخطاب الشعري دون النزول عن المستوى الفني ، وبخبرة عريقة نحو قوة السبك ورقة الألفاظ وعذوبتها ، مع تأثر واضح بمعاني القرآن الكريم ، كالاعتبار بالدنيا وتذكر الحساب والبعث ، والخوف من الله والاستعداد ليوم الرحيل ، وهو القائل:

انما يحفظ التقى الأبرار وإلى الله يستقر القرار

والى الله ترجعون وعند الله ورد الأمور والإصدار (١)

٣- استطاع لبيد أن يطوع شعره ، في اتجاه تحقيق الشعر، الذي يتسق مع متطلبات الإسلام وقد بدت استجابته في الأخيلة ، والأساليب ، والمعاني ، والأغراض الشعرية ، من خلال الشمولية التي تربط المعتقد والمشاعر والأساليب وباتساق متين لا نشوز فيه .

---

(١) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) شوقي ضيف / دار المعارف/ مصر.

معن بن أوس المزني
(طبيب القلوب الحاقدة)

« رائعة سياسة الأقارب »

١- وذي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنِه　　بحِلمِيَ عَنْهُ وهو ليس له حِلمُ
٢- يُحاوِلُ رَغمي لا يُحاولُ غيرَهُ　　وكالموتِ عندي أنْ يَحُلَ به الرَّغمُ
٣ - يَودُّ لو أنِّي مُعدِمٌ ذو خَصاصة　　واكرهُ جُهدي أنْ يخالطه العُدمُ
٤-فلولا اتقاءُ اللهِ والرَّحِمُ التي　　رعايتُها حَقٌ و تعطيلُها ظُلمُ
٥- إذاً لعَلاهُ بارقي وخَطَمْتُهُ　　بوَسم شَنار لا يُشاكِهُهُ وَسمُ
٦- فما زلت في لِيني له وتعطُّفي　　عليه كما تَحْنُو على الوَلدِ الأمُ
٧- فداويتُهُ حتى ارفأنَّ نِفارُهُ　　فعدُنا كأنّا لم يكنْ بَيْننا صَرَمُ(١)

١- المقدمة

كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمرة مع ولده وأهل بيته ، فقال لهم ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ففضلوا ، فقال بعضهم امرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم الأعشى ، فلما فرغوا قال أشْعرُ والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول : (وذي رحم قلمت ...) وأنشد القصيدة ، إنَّه معن بن أوس صاحب القصيدة الرائعة ، في سياسة الأقارب وكسب قلوبهم وتنظيفها من صدأ الأحقاد والأضغان ، ومعن بن أوس شاعر من شعراء البادية المخضرمين ومن الجيل الذي انسلخ من عقائد الجاهلية واخلاقها، وانحاز إلى الاسلام انحياز المعتقد الواثق بدين الله ، حتى أننا نرى ذلك ونلمس أثره في عقله ووجدانه وشعره، وقد قال هذه القصيدة في ابن عم له بادره بالحقد والكره ، دون ملل أو تراجع ولكنَّ مَعْناً وبتوفيق من

---

(١) الأمالي ٢: ١٠١ -١٠٣ وزهر الاداب من ٨١٧ - ٨١٨ والمورد الكبير: فخر الدين قباوة وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) شوقي ضيف.

obeikandl.com

الله ، تمكن من أن يرد الحقد بالحِلم ، ولم لا وقد علمه القرآن الكريم وسيلة العلاج في قوله تعالى ﴿**ادفع بالتي هي احسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ فصلت : ٣٤ فكان شاعرنا كالطبيب الذي يكره المرض ، ولكنه لا يكره المريض أو يحقد عليه ، بل يسوس قلبه بالسماحة والتسامح ، حتى يداوي حقده ويعيده إلى جادة الصواب ، ولِمَ لا يكون ذلك؟! وقد طبعت القلوب على حب من أحسن إليها . وكأني بعبد الملك بن مروان وقد اختار هذه القصيدة وفضلها وهو الخليفة الذي امتاز بالعلم والفقه ؛ لأنه اراد أَنْ يعيد إلى أذهان الأبناء وأهل بيته وخاصته نموذجا من نماذج أدب الجيل الأول ، الذي تشرب أخلاق القرآن وتربية النبوة ؛ ليكون امامهم نبراساً في صلة الأرحام والصبر على أذى الأقارب ، في عهد اشتدت فيه الفتن وانقطعت فيه الصِّلات، والعلاقة بين الأقارب ربما تحكمها الحساسية الشديدة، وتتقاذفها مقاييس التنافس، واذا لم تجد من يحسن القياد ، ويسوس النفوس ، إنقلبت القلوب وتباعدت، وعمرها الحقد والحسد.

ونحن لا ننكر أن من أهل الجاهلية واصحاب الحكمة، من كان يدرك خطر هذه القضية فهذا ذو الاصبع العدواني عندما حضرته الوفاة أَخذ يوصي ابنه وصيته التي فيها خلاصة خبرته في سياسة القبيلة ويقول له (يا بني ، أَلِنْ جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ويكبرُ على مودتك صغارهم)[1]

ولكن الجاهلية كانت تنظر إلى هذه الأخلاق من خلال المصلحة ، والمطالبة بها تتبع لخبرة الأفراد وتقلب طباعهم ، وكانت الجاهلية تمجد بعض الأخلاق كالكرم والإحسان إلى الاقارب ، ونصرة الضعيف، ولكنها كانت تعتبر من

---

(١) كتاب التعبير والتخليص الصف التاسع مجمع اللغة العربية: الأردني عمان.

الأخلاق الفردية ، التي يمارسها أصحاب الهمم العالية ، وباعثها في هذه الأخلاق هو باعث مصلحي أو ترفعي أو قيادي ، ولكنها ليست اخلاق المجتمع ، فلما جاء الإسلام بانقلابه أشرف على إعادة صياغة المشاعر وتوجية المقاصد تحت اشراف العقيدة، فجعل من صلة الأرحام عبادة، يتقرب بها المسلم إلى الله سبحانه وتعالى ، وأوجد تصوراً واضحاً حين ذكّر الناس بأنهم ابناء لادم وآدم من تراب، وأوصى بالإحسان إلى الأرحام، ووضع التشريعات التي تحمي هذه الصلة وتحرسها ، وصحح كثيراً من الأمور في الأذهان كقوله عليه السلام (خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم) وقد جعل الإسلام الإحسان إلى الأقارب من الأعمال الصالحة التي تطيل في الأجل، وتبارك في الرزق ، وأعاد هذه الأخلاق وعممها على المجتمع ؛ لتصبح من اخلاق المجتمع المسلم ، بها يترابط وتسوده المحبة ويعمه الاستقرار ، بعد أن كانت في الجاهلية تتبع لأمزجة الأفراد ومصالحهم.

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلِم

٢- تحليل القصيدة :

لقد جسد معن بن أوس مشهدا حسيا في بداية القصيدة ، إنه مشهد القريب الذي لا نرى شيئا من ملامحه أو قسمات وجهه، وقد اختفت معالمه ، والخفاء يبعث الرعب في النفوس ، وفجأة تتجمع مشاعر الحقد والحسد والكراهية ، وتتجسد على شكل اظافر متعطشة للنيل من الشاعر دون رحمة أو هوادة ، وفي جو من الحركة والتربص ، تظهر يد حانية تحمل مقصاً من الحِلم والرحمة والإشفاق ، وتمتد إلى تلك الأظافر فتتمكن من قصها ، وإنهاء خطرها بحكمة وصبر وروية ، ولكن شتان ما بين أظافر يحركها قلب حقود يمتلىء بالكراهية والحسد والحقد ، وبين مقص يحمله قلب تحركه مشاعر التسامح والعطف والإشفاق ، والذي يلفت نظر المتأمل ويدفع القاريء إلى التساؤل ،

لماذا قفزت نتيجة الصراع بين الشاعر وابن عمه إلى أول القصيدة ؟! وفي الشطر الأول من البيت الأول ، حيث اخبرنا الشاعر بالخطر والعلاج والنجاة منذ بداية القصيدة ، وفي ظني أنّ سبب الاستعجال الذي دفع الشاعر إلى ذلك ،هو أن تزاحم المشاعر على الخروج في لحظة ميلاد القصيدة ، جعل مشاعر الفرحة التي غمرت قلب الشاعر، بعد نجاح التجربة تقفز وتسابق غيرها، حتى تصدرت القصيدة ، وبعد أنْ عبّر الشاعر عن فرحته بانتصاره أولاً ، وحيث ألزمها بالتسامح والإرتفاع، ثم انتصاره على حقد ابن عمه وكسب مودته ، فقد كان ابن عمه (يحاول رغمي لا يحاول غيره) وباستمرار لا توقف فيه ، يبذل محاولاته ويوظف جميع جهوده ؛ حتى يرغم أنف الشاعر ويذلة ويقابله الشاعر بصبر الحليم .

وقلب الحليم المؤمن الذي تربى على آيات الله (وكالموت عندي أنْ يحل به الرغم) فالشاعر يرى الذل لابن عمه مستبعداً من نفسه ، بل هو يرى في ذل ابن عمه مصيبة مرة كأنها الموت، لا يهضمها ولا تستسيغها نفسه ، وابن عمه حقود حسود يود له كل سوء ويتمنى له الفقر ، وضيق الحال، ويكره له كل خير (يود لو اني معدم ذو خصاصة) والمفارقة تكشف ما بين الاثنين حين يقول الشاعر (وأكره جهدي ان يخالطه العُدم)

ومع تكرار التجربة المريرة مع ابن العم ، لا يسع معن بن اوس إلا أن يضبط مشاعره اتجاه ابن عمه بآداب الشرع الحنيف ، وهو الذي اختار السماحة والحِلم ؛ طلباً لما عند الله، لأن رعاية الحق في صلة الأرحام أمر من الله ، وتعطيل الصلة ظلم لا ترضى به نفس قبلت بالخضوع والاحتكام لشرع الله (فلولا اتقاء الله والرحم التي رعايتها حق وتعطيلها ظلم) لولا ذلك ، لأخذ معن على عاتقه، مهمة تأديب هذا القلب الحقود بسيفه حتى يذيقه الذل ، ويلحق به العار إلى الأبد ، ولكن هيهات أنْ تقبل نفس مؤمنة بذلك ، لانها تعرف أنّه

خروج على طاعة الله ، ولا بد هنا من الصبر ، فهو السلاح القوي الذي يمكن الشاعر من مداواة القلوب ، والوصول بها مرحلة الصفاء (اذا لعلاه بارقي وخطمته بوسم شنار ..) نعم الصبر هو سلاح المؤمن ، الذي يمكنه من الوصول إلى الأهداف ، وبشيء من اللين وحسن السياسة وبوضوح المنهج، وتوجيه النية إلى الله والتقرب إليه بهذا العمل، يسهل على النفس العمل وتهون عليها الجراح ، وتتأكد لديها الثقة التي تدفع إلى اتقان العمل، والإحسان الى هذا القريب الحاقد ، الذي اضطرمت في قلبه نار الحسد والضغائن ؛ حتى يستل الضغينة من قلبه ، وعندها يرأب الصدع وتتفرغ القلوب من حقدها ، لقد كان الشاعر كالأُم الحانية على رضيعها، مهما اتعبها لا تقابله إلا بالحنان والرعاية (فما زلت في ليني له كما تحنو على الولد الأُم) وبهذا الأسلوب القرآني أصبح الإحسان ماء يغسل القلوب من ادرانها، ويفرغها من حقدها ، وعندها تتواجد لديها قابلية استقبال المودة والمحبة وتعود للتآلف ، كأن لم يكن بينها شحناء ، (فعدنا كأنا لم يكن بيننا صرم) ، انها تجربة فردية ناجحة في سياسة الأقارب ، يحتاج المجتمع إلى تعميمها بين افراده وشرائحه ، بعد ان استوعبها الشاعر قرآنيا من قوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ثم نجح فيها عملياً ، وقدمها لنا في اطار أدبي فني ممتع وناجح .

٣- البناء الفني والمذهبية الأدبية :

١- قفز الفرح من وجدان الشاعر إلى مطلع القصيدة في لوحة رائعة تجمع بين الحركة والأداء السامق (وذي رحم قلمت اظفار ضغنه) .

٢- لغة الشاعر تجمع بين جزالة اللفظ وحركية الأداء والبيان الراقي ولعل لبيئة الشاعر (البادية) أثرها الواضح في جزالة الألفاظ وقوة جرسها.

٣- استطاع الأداء الفني أنْ يحمل معاناة الشاعر وينقلها دون تزوير ، وحافظ على واقعية الحقائق دون انحدار أو هبوط .

٤- استعمل الشاعر أُسلوب المفارقة والمقارنة في نقل المشاعر والأفكار من خلال المقابلة بين فعلين وسلوكين (بحلمي عنه ... وهو ليس له حِلم) (يحاول رغمي ... وكالموت عندي ان يحل به الرغم) (يود لو اني معدم ... واكره جهدي ان يخالطه العدم) .

obeikandl.com

« رائعة الحب والعفة »

لشاعرة مجهولة

١- تطاولَ هذا الليلُ واسودَ جانبُـه ... وأرَّقني أنْ لاحبيـبَ أُلاعبُهْ

٢- أُلاعبه طوراً وطوراً كأنما ... بدا قمراً من ظلمه الليل حاجبُهْ

٣- يُسَرُّ به من كان يلهو بقربه ... لطيفَ الحشا لا يَحْتويه أقاربُـهْ

٤- فوالله لولا الله لا شيءَ غيرُهُ ... لَنُقِضَّ مِن هذا السرير جَوانبُهْ

٥- ولكنـي أخشـىَ رقيباً مُوكَّلاً ... بأنفاسنا لا يفترُ الدهـرَ كاتبُهْ

٦- مخافة رَبِّي والحياءُ يَصُدُّني ... وإكرامُ بعلي أنْ تُنالَ مراكبُهْ (١)

٢- **المقدمة** : تتردد قصة هذه القصيدة في كتب التاريخ والتفسير ، وقد أوردها ابن كثير الدمشقي في تفسيره المشهور ، كشاهد على حركية التفكير الفقهي عند عمر بن الخطاب ، كما اوردها كتاب « شاعرات العرب » .

تقول القصة بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بينما كان يسير في الليل ساهرا على أمر الرعية... ويراقب أحوال الناس ، وذات ليلة بينما كان خلف سور أحد البيوت ، سمع فتاة تنشدُ هذه القصيدة ، فذهب من توه إلى ابنته حفصة أُم المؤمنين - رضي الله عنهما - ، واستفسر منها ، حول صبر المرأة عن زوجها ، وعلى هذا الأساس ، بدَّل عمر في المدة التي يغيبها الجنود عن زوجاتهم ، وقسم الجيش إلى صوائف وشواتي .. إلى آخر القصة .

ولعل الرواة أهملوا اسم هذه الشاعرة التي قالت هذه القصيدة الرائعة ، بدافع من أدب الستر الاجتماعي الذي تعلمه المسلمون من دينهم « ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة »

---

(١) شعر الدعوة الإسلاميّة الحامد مرجع سابق، تفسير ابن كثير الدمشقي .

٣- تحليل القصيدة:

وهذه القصيدة تطرح قصة واقعية ، حدثت في صدر الإسلام في العهد الراشدي ، أيام عمر الفاروق ، فتاة مؤرقة تعج حيوية وشبابا ، وتبحث عن إشباع رغبتها الفطرية، التي زرعها الله فيها، فترى الزمن ممتداً متطاولا ، وقد تلون بلونه الأسود الحالك ، والأرق هو الحال النفسي للفتاة ، سيطر عليها ، وجعلها تدرك الزمن في إطار، غير اطاره الحقيقي الموضوعي ، حيث رأته ممتدا كالحمل الثقيل ، والليل بطبيعته أسود مظلم ، ولكن قولها في القصيدة « اسود جانبه » عبارة اضافتها إلى الليل لتنقل لون الحال الشعوري ، الذي تعاني منه ، وحيث خلعت على الليل الأسود سوادا فوق سواده ، واذا لبس الليل عباءته السوداء ، جاء الأرق ليلبسه عباءة أُخرى ، هي عباءة الذات المعذبة ، التي تعاني من الحرمان ، انها كالشجرة الظائمة التي تنتظر قطرات الغيث .

وسبب هذا الحال أنَّ الفتاة هنا محرومة من وجود الحبيب ، مؤرقة لبعده ، تهفو إلى مداعبته وملاعبته روحاً وجسداً .

وتعود الفتاة في البيت الثاني إلى صورة الحبيب ، بشيء من التفصيل ، الذي يكشف عن زيادة التعلق به والتلهف إليه ، وكأنها تتلذذ، لتعوض نفسها مما حرمت منه ، ونلاحظ أنّ كلمة «اللعب » قد كُررت ، وفي تكرارها ما يكفي لتصوير ما تريده من التحقيق النفسي . بل والمعاشرة الزوجية ، وكأن التوتر الجسدي عندها قد اختبأ تحت الرماد ، ليبدأ التوتر النفسي بجانبه الشعوري ، عن جمال المحبوب ، فهو قمرمنير وسط ظلمة الليل البهيم ، هذا الحبيب الذي يسر من كان بقربه ، حيث لطف الشمائل ، يفيض على محبوبته من طباعه السمحة ما يشيع السرور ، إنّه محبوب متوازن يعطي كل ذي حق حقه ، لا يسمح لعلاقات الأقارب ، أن تهضم حق زوجته وسط طوفان العلائق ، والمناسبات (لطيف الحشى لا يحتويه أقاربه) ، ثم تستمر هذه الشاعرة

العظيمة ، التي اخضعت هواها وغرائزها ومشاعرها لشرع الله سبحانه وتعالى ، في إكمال البناء التعبيري عن نفسها ، انه بناء متين مترابط ، يدل على شخصية سوية متكاملة شمولية ، لا تناقض فيها ولا انحراف ، ويظهر ذلك جليا في النصف الثاني من القصيدة .

حيث نلاحظ ذلك في تعابيرها وطرحها لمفاهيم متوازنة ، مفهوم الإشباع الفطري لرغبتها في زوجها ، وهو حق شرعي ، ولكن الزوج غائب مع المجاهدين ، وعند التمعن في « النصف الثاني من القصيدة » ، نرى أن العقيدة التي تأمر بالصبر عن المحرمات ، تؤتي ثمارها التي أورقت في نفس طاهرة ، فأثمرت عفة، إنّه فقه امرأة مؤمنة أدركت أن هذه العقيدة لا تحارب الرغبة ، ولكنها تحارب الفوضى والزنا ، انه تأجيل للرغبة ، وليس كبتا لها وهوتعليق للرغبة حتى يتأتى اشباعها بالحلال ، عند عودة الزوج المجاهد ، هكذا فقهت أنّ الاسلام ليس دين الكبت ، وإنما هو دين الاشباع للفطرة ، ولكن ضمن حدود النظام والشرع الذي حلل الله فيه الحلال وحرم الحرام ؛ لينفي عن الانسان المؤمن حياة الفوضى التي تسود بين البهائم . وهكذا افاقت هذه الشاعرة من هياج الشهوة التي حدثتها بها نفسها ، لتضع فاصلاً بين ابداء الرغبة وإظهار الفطرة ، التي اطلقتها عن طريق التعبير ، وبين التحقيق الفعلي للرغبة .

والحد الفاصل هنا هو الخوف من الله سبحانه وتعالى ، وهو الذي يفصل بين أنْ ينقض السرير وبين الاكتفاء بإبداء الرغبة .

وهنا يظهر الجانب الإرادي بما فيه من رغبات: نفسية ، وجمالية ، وحسية ، كما يظهر الجانب العقائدي ، الذي يسيطر على التصور والفكر ، كما يسيطر على الأهواء والرغبات .

ويلاحظ ان مخافة الله في قلب هذه الفتاة ، فوق الاشباع المحرم الذي تعافه النفس السوية ، فما بالك في النفس المؤمنة ، التي تقدم الخوف من الله على كل شيء .

ولكنني اخشى رقيباً موكلاً   بانفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه

لقد تجلت التقوى بأروع صورها ، إنها تخاف من رقيب الله ، الذي يكتب حركاتها وسكناتها، وإدراكها لذلك بعمق عجيب ، وخاصة أنها تنشد قصيدتها ، وهي وحيدة منفردة ، لا يراها أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، إنه موقف لا لبس فيه ولا نفاق ، والخوف من الله هو الحصن الأول الذي يحتمي به المؤمن عند مغالبة النفس ، و صراع الشهوات . والصبر سلاح المؤمن الذي سلحه الله به في أوقات الشدة ، لأنه يربط بين الصبر ومحبته لله وثوابه ، وذلك يساعده على غلبه الهوى . والصبر هو القوة الوحيدة القادرة على استخراج عظمة المؤمن من بين اللحم والدم إلى عالم الفعل والتحقيق ، في لحظات الشدة وغلبة الشهوات ، ويختلف الصبر عن القهر ، فالصبر : مرتبط بتذكر الله والخوف منه والطمع في رحمته وجنته، بينما القهر هو أنْ يمتنع الانسان عن إتيان الشيء أمام قهر القوة وبدون مقابل أو قناعة ، حيث هو مغلوب على أمره ، وهذا ما يميز المؤمن عن الكافر ، فالمؤمن صابر يرجو الله والكافر مغلوب بدون هدف مقهور على الفعل ، فهو عبد للقهر والذل ولا ينتظر بعد ذلك شيئاً من الثواب وهذا هو (الكبت) .

ولهذا نرى شاعرتنا تؤكد ذلك (فوالله لولا الله لا شيء غيره)اذن هي تقدمت واختارت العفة كطاعة وعبادة لله ، وهذا يدل على تغلغل هذه المخافة في قلبها ، ثم تأتي بعد ذلك مجموعة عوامل مساعدة، وما هذه العوامل إلا حصون أُخرى ، وسياج يحمي المؤمن والمؤمنة في لحظات الضعف ، أمام رغبات الفطرة الملحة وبحثها عن الإشباع ، ومن هذه الحصون (الحياء) وهو سياج الإيمان في لحظات الضعف وغلبة الشهوة ، والحياء من نعم الله الكبرى ، يجعل الإنسان عديم الجرأة في الباطل ، حين تُغطى البصائر بتليبس ابليس (مخافة ربي والحياء يصدني) . ثم ياتي حصن (الوفاء) حين تحتقر المرأة

الزنى ، وفاءً لزوجها ؛ لأنه إن غاب عنها حفظته في نفسها وماله (واكرام بعلي أنْ تنال مراكبه) هذا هو الأدب الإسلامي معاناة وصدق وأداء فني يجمع بين الواقعية والسمو دون هبوط أو ضعف او تزوير .

obeikandl.com

« رائعــة الحــب والعفــة »

البناء الفني وملامح المذهبية الادبية

١- قيمة هذه الوثيقة الأدبية :

١- يستطيع الدارس لهذه القصيدة أن يرى فيها وثيقة أدبية مهمة ، تكشف عن مدى التفاعل العملي بين قيم الدين الجديد وبين مشاعر اتباعه الذين يؤمنون به ، حيث استطاع هذا الدين أنْ ينتج مجتمعاً يحمل تصوراته للكون والحياة ، بل ويدفعهم إلى ممارسة هذه التصورات في واقعهم المعيشي ، وفي فهم حياتهم ، بل وإخضاع مشاكلهم لقيمه وتشريعاته .

٢- يستطيع الدارس أنْ يرى قدرة هذا الدين في توجيه مشاعر أتباعه وبلورتها ، بحيث تنتج أدباً إسلاميا ، قادراً على كشف العلاقة الشعورية المتينة بين الفهم والممارسة لتعاليمه في فترة من الزمن قصيرة جداً ، تدل على وضوح العقيدة والشريعة فيه ويسر الفهم والتنفيذ ؛ لأنه دين الفطرة ودين الله في أرضه ، وحيث أنَّ صاحبة النص معاصرة لعمر بن الخطاب .

٣- هذه الوثيقة تكشف أن المذهب الإسلامي في الأدب ، كان موجوداً منذ أنْ ولد الإسلام ، وهذه الوثيقة تفضح النقد العربي الحديث ، الذي عاش على التبعية للنقد الغربي ، وتآمر على طمس معالم المذهب الأدبي الإسلامي ، في الدراسات النقدية التي طرحها ، وفي احسن الأحوال اعترف بالأدب الإسلامي كفترة تاريخية ضمن دراسات تاريخ الأدب ، مما يكشف هزالة النقد والنقاد العرب في عصرنا، بينما كانوا نشطاء في التبشير بالمذاهب الأدبية الغربية ، ومحاولة تفصيل الأدب العربي على مقاسات المذاهب الأدبية الغربية .

٤- وهذه الوثيقة وغيرها من الوثائق هي حجة دامغة على عراقة (مذهب الشمولية) وأن أُدباء الدعوة الإسلامية وتيار الإحياء للتراث هم أصحاب

الأصالة والطرف الوحيد المؤهل للسير بالأدب العربي والإسلامي في طريق التطور الداخلي الذاتي الآمن من الضياع في شعاب التغريب والمسخ ، والمحافظة على الأصالة والتمييز ، إذا تم لهم الاهتداء إلى المرجعية الشرعية والأدبية المتخصصة التي تستخرج منها « المقاييس النظرية » لتصويب مسيرة هذا الأدب .

٢- البناء البلاغي والفني

اعتمدت الشاعرة في قصيدتها سهوله الطرح والأداء الموصل ، ونقل مشاعرها بعيداً عن التهويل ، فجاء شعرها في لغته سهلاً واضحاً يحمل السلاسة والترابط المنطقي للحدث .

والذي ساعدها على ذلك ، أنَّ القصيدة مقطوعة شعرية قصيرة ، أضف إلى ذلك ، إنَّ حالة التفريغ النفسي للحدث حملت في طواياها الأداء المركز ، الذي حمل الفكر والمشاعر معاً ، دون افتعال أو إطالة مبتذلة إنها مناجاة وحوار داخلي متميز .

فلا بد ان نعترف ان المستوى البلاغي للقصيدة جاء غاية في البيان العربي الأصيل ، الذي يمتاز بصفاء الطبع وسهولة التعبير ، والصورة الفنية هنا تقوم بوظيفتها دون تقعر أو غموض ، إنها فنية متميزة لا تعتمد على الصور المجنحة الموغلة في التهويم ، وإنما هدفها الأول صدق النقل للفكرة والمشاعر وأداء المعنى، إنها بلاغة العربي في صدر الإسلام ، يوم كان ذوقه الأدبي قد تخلى عن حوشي الكلام ، وارتبط ببيان القرآن .

إنّ الفنية ليست غاية للسباق ، وانما هي وسيلة للأداء المبدع الذي يوجب على الشاعر اتقان أدوات هذا الفن وتوظيفها بقدرة عالية ، إنّه ابداع عاقل وظيفي الهدف ، يؤمن أن الله سبحانه وتعالى منح البيان لذرية آدم ؛ ليكون

وسيلة نقل وأداة اتقان ، في التعبير عن ذواتهم ، وهذه سمة من سمات أدباء هذا الدين العظيم، الذي جاء يخاطب البشرية بوضوحه ، ويحارب همهمة الكهان وغموض العابثين .

لقد استطاعت هذه الشاعرة ببلاغتها الرائعة ، أنْ توجز التجربة الشعورية ، والفكرية ،والعقائدية ، والخبرة الحياتية في ابيات قليلة العدد عظيمة المعنى ، جمعت بين الصورة المستمدة من الطبيعة أو من الحياة الاجتماعية ، او من القرآن الكريم ، أو الحالة النفسية : (صورة الليل المتطاول الممتد) (وصورة الحبيب الذي يبدو قمراً مطلاً وسط ظلمة الليل) (وصورة الزوج المتوازن الذي لا يحتويه اقاربه) (وصورة الملائكة التي تكتب اعمال الانسان ولا تفتر) (وصورة الأرق الذي يلبس عباءة الليل في نفس قلقة) .

والذاتية التي تكمن وراء النص ، تظهر وتبدو بمحتواها الإنساني في بداية القصيدة ، ثم تذوب لتصبح مركباً اسلامياً في نهاية القصيدة ، انه الصدق الذي يفعله هذا الدين في قلوب اتباعه، يتفاعلون مع أوامره ونواهيه باندفاع ذاتي داخلي، وحماس غريب منبعه مراقبة الله سبحانه وتعالى ، وليس السلطة الخارجية .

وتحمل هذه الذاتية الحب بشكله الفطري ، دون إخفاء أو إلتواء ، وهناك فارق بين عرض الفطرة بكاملها وبأشواقها ، وبين اشباعها كيفما هب ودب ؛ لأن الاسلام علمنا أن لا يؤاخذ الانسان بما تحدثه به نفسه ، ولكن يُؤاخذ بما خرج إلى الفعل أو القول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ الله تجاوز لي عن امتي ، ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تكلم)[1]

---

(١) البخاري / كتاب العتق / باب ٥.

٣- ملامح الشمولية الإسلامية في هذا النص

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا ، ما هي قدرة هذا النص في اثبات الملامح والسمات المميزة للأدب الاسلامي ؟ وهل استطاع أن يوفر للناقد استخراج بعض خصائص هذا الادب ؟ أقولها بهدوء المطمئن ، أنَّ هذا النص نموذج وثائقي وشاهد حق على هذه السمات ، من خلال ما ظهر لنا في النقاط التالية :

١- ان العمل الفني الإسلامي يمتاز بالشمولية التي تعالج الجزء من خلال وشائجه مع الكل ، لأنه يفسر الحياة تفسيراً شاملاً ، ولأنه صورة عن الإسلام نفسه كدين شمولي ، فالحب الروحي وحده ، أو الحب الجسدي وحده أو حب الجمال وحده ليس من سمات هذا الدين ، ولهذا تأتي القصيدة الإسلامية كمركب شمولي عن الحياة .

٢- الشاعر المسلم كإنسان يحمل ضعفه البشري ومجاهدته لهذا الضعف ، ومتاعبه لإحداث التوازن، دون تزوير لحقائق الحياة ، وهو كفنان يحمل مشاعره المختمرة ، متذوقاً لجمال الكون والحياة ، من خلال مجهر الإسلام وحده ودون شريك .

٣- القصيدة الإسلامية متميزة ، وهي ليست شيئاً سائبا ، يدخله من رغب ، فليس كل من كتب قصيدة عن الاسلام ، يستطيع أن يأخذ هويتها ، لأن الهوية الإسلامية لها معالم محددة وحدود واضحة ، هي في خضوع الهوى لكتاب الله وسنة رسوله في التكوين والتعبير .

٤- القصيدة الاسلامية تخرج من ثوب الصدق والمعاناة ودون تهويم ، بلغة تتصل مع الناس وتخاطبهم على قدر عقولهم ، دون النزول بالمستوى الفني إلى مرحلة الابتذال أو الضعف .

٥- هذه القصيدة أشبه بالمدينة المألوفة ، التي كلما تجولت فيها اكتشفت

شيئاً جديداً ؛ لانك تتعرف على فطرتك كإنسان ، انها مدينة مألوفة لكل قلب عرف القرآن، وتفاعل مع معانيه، وهذه شهادة على قدرة الشاعرة الفائقة في الأداء والانتماء .

هذه بعض النماذج الشعرية التي اخترناها ، من روائع الشعر الإسلامي لعدد من الشعراء الصحابة والراشدين ، قدمناها لندلل على وجود النموذج الإسلامي في الأدب ، وحيث جمع أصحاب هذه النماذج بين الفقه النظري للقضية الأدبية من (القرآن والسنة) ، وبين متطلبات الفن الشعري ، وكان التطبيق العملي لهذا الفهم واضحاً جلياً ، في صياغتهم الفنية لتجاربهم الشعرية ، وقد نجحوا في إقامة معالم هذا الفن الاسلامي ، ونالوا تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم لجهدهم المبارك .

ولعل في الديوان الشعري الضخم(١) ، الذي قدمه الصحابة والراشدون ما يغري النقاد في الكشف عن دُرر هذا الادب ؛ لجلاء حقائقه امام الأُمة في هذا القرن ، بعد أن كاد النسيان والإهمال أنْ يأتي عليه . وكذلك يمكن أن تمتد الدراسات إلى ابداع هذا الجيل الفريد في الأنواع الأدبية الأخرى ، من : خطابة ورسائل ووصايا وأمثال وحكمة وتوقيعات ، حتى نصل إلى مرحلة النظرية الاسلامية المتكاملة في الأدب ، والتي لا بد أن تستخرج مقاييسها وثوابتها ، من القرآن الكريم والسنة الشريفة ونماذجه ، لنرى عظمة هذا الدين في قلوب اتباعه ، وهم يخضعون تجاربهم الشعرية لأوامره في المقاصد والنوايا والأداء والتعبير .

وبعد ذلك يمكن أن تمتد الدراسات إلى أدب العصور المختلفة حتى تصل إلى الإنتاج الأدبي في عصرنا، لتحاكم أدب هذه العصور إلى مقاييس النظريّة الإسلاميّة وثوابتها.

---

(١) انظر (شعر الدعوة الإسلاميّة) جمع وتحقيق الدكتور عبدالله الحامد / مرجع سابق.

خلاصة في الضرورات والتحديات .....

وبعد أن عالجنا كثيراً من قضايا « المنهج والتطبيق » فيما سبق من هذه المقدمة ، نجد أنه لابد أن نُعَرج في نهاية المطاف، على بعض الضرورات والتحديات ، التي توجب على دعاة الأدب الإسلامي، ضرورة التصدي لها ، سداً لحاجات التنظير الإسلامي في الأدب ، في خضم الصراع الفكري والحضاري الدائر في عصرنا.

فهي بحاجة إلى جهد كبير من الفقيه الأدبي لجلاء مفهوماتها ، وايضاح حقائقها وحدودها ، وذلك لما لها من عظيم أثر في حل قضايا الأدب الإسلامي ، اثناء محاكمة الإبداع وتفسيره ، مع ضرورة التأصيل الشرعي والأدبي لهذه الأمور .

ومن الأمور التي أحب أن أشير اليها على سبيل التذكير بها لبيان اهميتها ما يلي :

١ - الوضوح والايصال ، هما غاية البيان ، وهذا يفرض على الفنية الإسلامية في الأدب ، أن يكون هدفها التبليغ ، والتبليغ ينافي الغموض ، لأن الغموض يقتل غايات الأدب ويضعف تأثيره .

٢ - يجب أن نفرق بين « طبيعة الأدب » التي تقوم على الفنية ، وتميز الأدب من غيره من العلوم والفنون ، و « وظيفة الادب » التي تقوم على توظيف تأثيره في خدمة قيم الدين أوالأخلاق .

وكلاهما في الإسلام أصل شرعي ، لا يمكن التهاون فيه على حساب الآخر ، لأن التهاون في مواصفات « طبيعة الأدب » معناه الخروج من الأدب نفسه ، لأنك تتنازل عن الفنية والصنعة والتميُّز

وهذا يعني التفريط في الإتقان (إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

والتفريط في الاتقان يؤدي إلى الاعتراف بالأدب الضعيف وعندها يصبح ضعيف التأثير ، وبهذا يعجز عن القيام بوظيفته .

والتهاون في الأصل الثاني (وظيفة الأدب) معناه الخروج من الإسلام نفسه، وفصل الأدب عن الأخلاق ، وهو أمر مرفوض شرعاً ، لأنه يعني فصل الدين عن الأدب أو (العلمانية الأدبية)

لا يمكن الفصل بين طبيعة الأدب ووظيفته ، الجودة والاتقان تضمن التأثير والتأثير معناه القيام بمهام الوظيفة خير قيام .

٣ - الخيال الإسلامي

الصورة الفنية تخضع للعقيدة ، لأن الأمم تستمد خيالها من عقائدها ، ونقاء الخيال من ضرورات محافظة الأمم على نفسها من الاختلاط والمسخ ، والفنيات الأدبية لا تتكون بمعزل عن تصور الأمم وعقائدها، فخيال الأمة الإسلامية يرجع في أصوله إلى تفسيرها للكون والحياة والإنسان ، والذي اخذته من عقيدتها .

ولذلك فهو مخالف للخيال « الوثني » أو الخيال « النصراني » أو الخيال «اليهودي» لاختلاف العقائد والمصادر .

والخيال الإسلامي خيال ممتد بحدود التصور الإسلامي، ثم تختزن هذه الخبرات في الذاكرة ، لتصبح مرجعاً ومنهجاً يستشار ويقاس عليه في القضايا الفكرية والثقافية ، وبعدها تأتي قضية

الإخراج الفني والجمالي للتجربة الشعورية القلبية من قِبل الخيال ، فيستفيد الخيال من مجموعة الخبرات المتواجدة لديه في الذاكرة ، ويحتكم الخيال في الإخراج الفني للقصيدة في لحظات ميلادها ، أثناء عملية الصياغة والأداء الفني للتجربة الأدبية الى ثلاثة مقاييس هي :

١ - **المعقولية** : وهو مقياس يقوم على مناسبة المقال للحال في البناء الفني .

٢ - **الجمال** : أن يكون البناء الفني قائماً على معيار الجمال والتناسب والتناسق الذي ينقل الصدق الشعوري والفني والواقعي ويوصله بطريقة جميلة محببة مؤثرة وموحية للمتلقي.

٣ - **نقل التوتر** : ويعتمد هذا المقياس على دقة نقل التجربة الشعورية ، وحالة التوتر التي يعيشها الجهاز العصبي من خلال رسم القمة والقاع ، وهو ما نسميه موسيقى الشعر، والأصل في هذه الموسيقى هو حالة التوتر، التي يعيشها الجهاز العصبي اثناء ميلاد التجربة الشعورية ، وحيث تتولى الأوزان العروضية تسجيل حالة التوتر . ومع الزمن تذهب التجربة الشعورية عند الشاعر وتوترها ، وتبقى موسيقى القصيدة مخلدة لتلك التجربة وتوترها على مر القرون ، ويستطيع القارئ بعد قرون أن يقرأ القصيدة فيستعيد التجربة والتوتر الذي رافقها، فيشارك الشاعر ويتعاطف مع تجربته رغم تباعد الزمان والمكان بينهما .

٤ - وكذلك يجب على الفقيه الأدبي التوسع في قضايا : أهمية الأدب في

بناء وجدان الأمة ، والعلاقة بين الأديب والناقد، ومبررات الدعوة للأدب الإسلامي ، وتفسير الظاهرة الأدبية وتعريفها، هذه بعض القضايا، نذكرها على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحصر، لإثارة الاهتمام بها عند فقهاء الأدب الإسلامي.

والله من وراء القصد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

obeikandl.com

عباس المناصرة يمتطي صهوة التجديد في دراسة الأدب الإسلامي*

بقلم الأستاذ: تيسير ذبيان

أن يتصدى كاتب حصيف وباحث متخصص لدراسة الشعر الإسلامي دراسة منهجيّة متعمقة، تبحث عن الدر في الصدف المنسي فذلك جهد متميز بالإبداع والريادة طالما انتظرنا مثله في ساحتنا الأدبيّة والفكريّة، إلى أن فاجأنا الأستاذ عباس المناصرة على صفحات «اللواء» بسلسلة من الدراسات تحت عنوان «من أدب الشموليّة الاسلاميّة» تناول ضمنه دراسة عدد من الشعراء الاسلاميين المتفردين بخصائص، انتشلها الأستاذ المناصرة من الوثائق التي لم يفطن إلى التنقيب فيها بهذا المستوى من الدقة والشفافية سواه، ففي الحلقة الأولى من الدراسة المشار إليها يقدم المناصرة للقارىء العربي والمسلم شاعرة مسلمة أهمل الرواة اسمها، مع أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عندما سمع فتاة تنشد قصيدتها التي يصفها المناصرة برائعة الحب والعفّة، ذهب من توه إلى ابنته حفصة، واستفسر منها حول صبر المرأة عن زوجها. وعلى هذا الأساس بدل عمر في المدة التي يغيبها الجنود عن زوجاتهم وقسم الجيش إلى صوائف وشواتي ...

وهنا لا يكتفي الباحث بايراد القصة، ولكنه يذكرها لينطلق منها إلى تحليل القصيدة تحليلاً منهجيّاً، يتناول مجمل عناصرها مبيناً الإحساس الباطن لدى الشاعرة والحالة النفسيّة التي صاغت هذه الرائعة المجهولة كشاعرتها المجهولة، ثم يتناول القيمة الأدبيّة لهذه الوثيقة، محدداً السمات الأساسيّة لشموليّة الأدب الإسلامي، ومؤكداً أنها تكشف عن مدى التفاعل العملي بين قيم الدين الجديد وبين مشاعر اتباعه، وقدرة الإسلام على توجيه مشاعر اتباعه وبلورتها، ودورها في كشف أن المذهب الإسلامي في الأدب، كان موجوداً منذ أن ولد الإسلام .. وغير ذلك من السمات .

* نشرت هذه المقالة في صحيفة «اللواء» الأسبوعيّة بتاريخ ١٩٩١/١١/٦ تعليقاً على بعض الحلقات التي كانت تنشر من هذا الكتاب في نفس الصحيفة.

ان تميز الأستاذ المناصرة في التعامل مع هذا النوع من الوثائق الأدبيّة، أنه يتوقف عند سطح الوثيقة مستشرفاً افاقها المتعددة، ثم لا يلبث أن يغوص في أعماقها الفنيّة والبلاغيّة، ليخرج وهو يحمل صيدا ثميناً وشهياً، يضعه على مائدة الفكر والأدب الإسلامي جديداً، نقياً من المجاملة والسطحيّة والأحكام العامة.

نلمس هذه المنهجيّة لدى الأستاذ المناصرة في دراسته عن الشاعر المسلم خبيب بن عدي، وأمير شعراء الدعوة حسان بن ثابت، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وشاعر الإسلام الأول. الأمر الذي يؤكد ضرورة دراسة جديدة تكتشف المضامين الحقيقيّة، والافاق التي ترنو إليها على خلفيّة الدعوة الإسلاميّة، كما فعل الأستاذ عباس المناصرة، وهو يحلل عناصر نماذج من الشعر الإسلامي، بمنهجيّة تقوم على استخلاص النتائج من بنية النص نفسه، وليس بناء على افتراضات مسبقة كثيراً ما تنأى عن الموضوعيّة، فتغرق الباحث والبحث والقارىء معاً في عمومية، لا تترك أثراً ولا تؤسس لمعرفة جديدة.

لهذه الحيثيّات وغيرها الكثير مما لا يتسع المجال لتفصيلها، يشعر قارىء عباس المناصرة بمتعة الفرادة في استقراء مكنون النص، ويحس بانتعاش الذاكرة، وهي تستلهم من رياض الأدب الإسلامي الأصيل عبق العقيدة تفوح من عقول ووجدان رجالها المبدعين: كحسان بن ثابت وخبيب بن عدي وغيرهما.

ولعل حقل الدراسات الأدبيّة الإسلاميّة مدعوة لاستقبال هذا النوع من الدراسات، التي يقدمها أمثال عباس المناصرة باهتمام، واعمال نظر، يفوق الاعجاب، كي يستقر في مناهج أدبائنا ومفكرينا، وبخاصة أن الأمة العربيّة الإسلاميّة اليوم، أحوج ما تكون إلى اعلاء صرح الأدب، بصنوفه المتعددة، على أساس جديد، يتوخى التنقيب الواعي عن درر هذا الأدب، ومن ثم وضعه تحت مجهر الدراسة والتحليل، بغية توظيف النتائج المستخلصة في اثراء ثقافة المسلم وترسيخ اعتزازه بتراثه، وحفزه على مواصلة الإبداع، على أرضيّة معافاة من بثور الفكر الوافد، واضطراب المدارس الأدبيّة المستوردة.

ان الحديث عن تألق عبارة الأستاذ المناصرة، وجزالة صياغته، وبهاء نسيجه اللغوي، لا يدرك إلا من خلال عين القارىء، فإليه نتوجه بالشكر.